



إلى بِنْتِ الحَلِيجِ



أبو طاحم محمد يونس بن عبد السّار

نزِيل المدينة المنورة (زادها الله شرفاً)

(مكتب ٨٣٦٨٣٨٢ منزل ٨٣٨.٥٣٧)

مكة المكرمة ت منزل ٥٤٢٤٢٨٠ - ٥٤٥٢٥٨٠

أبوظلحة محمد يونس عبدالستار ، ١٤١٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

ح

عبدالستار ، محمد يونس
رسالة من المدينة المنورة إلى بنت الخليج
٢٠٠ ص ١٢ × ١٧ سم

ردمك ٤ - ٢٢ - ٧٠٠ - ٩٩٦٠

١- المرأة ٢- التوبة ٣- الوعظ والارشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣

١٥/١٨٣٣

رقم الايداع : ١٥/١٨٣٣

ردمك : ٤-٢٢-٧٠٠-٩٩٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتُمْ أَمْ تَتَّقُونَ وَأَسْرَبْتُمْ
سِرًّا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ
الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

الأحزاب : ٢٨ - ٢٩

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٨١ / ٣ : هذا أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل ، فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة . اهـ .

فعلى الفتاة المسلمة

أن تقتدي بأمهات المؤمنين فتختار ما أختار الله لها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على ما سواه لتحيا حياة طيبة كريمة وتصيب خير الدنيا وسعادة الآخرة . وهذا وعد من الله عز وجل ، وهو لا يخلف الوعد على خلقه ، وهو صادق المقال على كل حال ، وقد أعلن الله تعالى به قائلا : مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

النحل : ٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

سَبَبُ تَأْيِيفِ الرَّسَالَةِ

قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :
«فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك
حمر النعم» رواه الشيخان عن سهل بن سعد .

نظراً إلى أهمية هذا الإرشاد المبارك والنصح في الدين
كتبت هذه الرسالة ذكراً لوالدتي المحترمة مخاطباً إلى بنات
العالم عامة وبنات المسلمين خاصة ، وبناءً على ذلك سميتها باسم :

سَائِلَاتُ الْمَدَائِنِ الْمُنَوَّرَةِ إِلَى بِنَاتِ الْخَلِيجِ

بدلاً من «بنات الإسلام» لكي يستفيد منها جميع البنات ،
المسلمات وغيرهن .

وثانياً : يحتمل أن ينتفع بها غير المسلمات أكثر من
المسلمات ، لأن بعض النساء يفقن بعضهن في الفهم والذكاء
والفقه كما قال رسول الله ﷺ في حديثه المشهور :

«نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ
أوعى من سامع» رواه الترمذي وابن ماجه كما في المشكاة (كتاب العلم) .

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُم مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْكُمْ وَلَا

يَسَاءُ لَكُم مِّن سَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُونَ خَيْرًا مِّنْكُمْ

الحجرات: ١١

«ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والإستهزاء بهم ، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له» قاله ابن كثير ٤/ ٢١٣ .
ولأن ديننا الإسلام أعطى الفرصة لأعدائه للنظر والتبصر فقال سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ :

وَلِإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ التوبة : ٦ .

قوله : ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ أى القرآن تقرأه عليه وتذكر له شيئاً من أمر الدين تقيم به عليه حجة الله . قاله ابن كثير .
وأعطى الفرصة لإبداء أى اعتراض أو مفهوم أو برهان في نفس المعارض والمعاندا فقال :

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ البقرة : ١١١ .

وطلب من المشركين أن ينظروا ويتفكروا في أمر الدين تارة منفردين وتارة مجتمعين ، وذلك بعقد المجالس والندوات للتشاور في حقيقة الدين وحقيقة الداعي محمد ﷺ فقال :
قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ قُرْدَىٰ ثُمَّ تَضَفُّوا إِلَىٰ مَبَاحِحِكُمْ مِّن جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

يقول تبارك وتعالى : قل يا محمد ! لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أى إنما أمركم بواحدة ﴿أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة﴾ أى تقوموا خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضهم بعضا ﴿ثم تتفكروا﴾ أى ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر

في ذلك ... إلخ . كما في التفسير لابن كثير ص ٥٤٤ ج ٣ .
بل وأعظم من هذا وذلك أنه أعطى الثقة للمعانيد ، ليتقدم
ويتكلم ويحس بنفسه وبموقعه ، وبأنه كائن حي له عقله فلا بد
أن يعقل ، وله فهمه فلا بد أن يفهم ، وبعد هذا التعقل والفهم
لا بد أن نسمع منه ثمرة عقله وثمره فهمه ، فقال تعالى :

وَلِنَّا أَوْرَاقًا كُمْ لَمَلْنَا هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾

هكذا أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن يقول للمشركين
الذين لا دين لهم صحيح ولا عقيدة معتبرة عند الجدل والمناقشة:
«أى واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق ، لا سبيل إلى أن
تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا
مصيب» ما بين القوسين من التفسير لابن كثير ص ٥٣٩ ج ٣ .
ومن هذا المنطلق أقدم هذه الرسالة إلى جميع البنات المسلمات
وغيرهن من كن وحيث كن .

وكانت والدتي المحترمة تمنى أن تصبح كل بنات حواء - عليها
السلام - ملكات الدين ، وتسجل اسمائهن في أحباء الدين
الإسلامي السامي ، لذا فإنها أملت في آخر أيام حياتها على زوجة
أخي الكبير محمد يوسف المكي - بمكة المكرمة - رسالة
صغيرة ، وبينت فيها كل ما كانت تخفي في صدرها من كلام الله
وكلام رسوله ﷺ ، ثم أمرتني بكتابة هذه الرسالة كتابة
واضحة وطباعتها كي تستفيد منها جميع البنات والأخوات
رجاء من الله سبحانه أن يرجعن إلى الله كل الرجوع .

ولللأسف ! لم تخرج هذه الرسالة إلى حيز الوجود في حياتها
لأن خدمتها أيام مرضها شغلتني عن المقصود ، وبعد ستة
أشهر من مرضها توفيت - رحمها الله - في شهر رجب
١٤١٢هـ بمكة المكرمة بسبب فشل الكلية ، ودفنت في مقبرة

المعلی بمكة المكرمة قرب قبر والدتها ، قدر الله لهما ولجميع المسلمين نومة العروس في القبر آمين .
 روى أن الميت إذا نجح في أسئلة الملكين - منكر ونكير - يقولان له : «نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه»
 رواه الترمذي في الجنائز قال الألباني : حديث حسن .

يا بشوق هذه الرسالة

أقدمها إلى جميع أخواتي في مشارق الأرض ومغاربها خلاصة كلمات والدتي المحترمة بالإضافة إليها بعض الكلام .
 ونحن نتمنى أن تترجم هذه الرسالة إلى جميع اللغات وترسل إلى كل من بلاد العرب والعجم كي تحقق أمنية أمي المحترمة ، وتنام في القبر نومة هادئة .

فالرجاء من الأخوات أن يقرعن هذه الرسالة المرسلة إليهن من مدينة المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - مهبط الوحي ومأرز الإيمان ومفتاحه لفهم الغرض الأصلي لا لمضي الوقت والحصول علي التلذذ بل عليهن أن يعلمن بأنفسهن أولاً ، ثم يشوقن ويرغبن الأخوات الأخريات إلى قراءة هذه الرسالة أو غيرها من الكتب الإسلامية التي تذكر الآخرة باستمرار ، لأن الكتب ليست لزينة الدواليب بل هي ثروة حياة الإنسان وتقوية للإيمان ، وقراءتها برغبة وحب ترفع روح الإيمان ، وتكرار التذكير ينفع الإنسان كما قال تعالى :

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ كُنَّ نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾
 وقد ذكر الله سبحانه أن من صفات المؤمنين والمؤمنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائلاً :

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 التوبة : ٧١

فإن كنتن المؤمنات أيتها الأخوات ! فعليكن بهذه الصفة
أخذاً بقول الله تعالى المذكور وبقول الرسول ﷺ الآتي :
كما في الحديث الصحيح : قال رسول الله ﷺ : « ترى المؤمنين
في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد - الواحد - إذا
اشتكى عضواً تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه كما
في المشكاة باب الشفقة والرحمة على الخلق .

أختي العزيزة ! وياجوهرة الكون المكنونة ! اعلمي مكانتك في
الإسلام ، قد شرفك الله بأنك والدة الأنبياء والمرسلين - عليهم
الصلاة والسلام - وأنت التي أنجبت الأولياء الكاملين والأتقياء
والصالحين ، ولا شك أن كل إنسان في الدنيا ثمرة فؤادك .
وهل خلقت أنت يأمة الله ! لتشتريين الطماطم والبطاطس
وغير ذلك من الخضراوات والأدوات المنزلية والأكسسوارات
والمجوهرات من السوق بأرخص الأسعار ثم تبدئين وتخبرين
الصديقات بأنك اشتريت كذا وكذا وتفرحين بذلك ، ولا
تذكرين الله عز وجل كما كان حقه ؟

ألا ! إنك أفضل الخليفة ، ولا يليق بشأنك إلا أفضل الأمور
وأحسنها ، ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ النساء : ١٠٤ .

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ نوح : ١٣ .
فإن كنتن تردن في الدنيا حسنة وحياة طيبة ، وفي الآخرة
حسنة وحياة طيبة فتحلين بالإيمان وابدلن الجهد ،
واقدرن حياتكن وأفاسها المعدودات حق قدرها ، لترضين
الخالق جل وعلا ورسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه كما هو
شعار المؤمنين والمؤمنات قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة : ٦٢ .
وياأختي العزيزة ! قد وهب الله تعالى لكل إنسان أنفاساً
معدودات ، فإذا أنفقاها الإنسان في اكتساب الخيرات بعقل

وشعور ، فلا حد لمنافعه في حياته وبعد موته ، وبالعكس إذا أنفقها في أمور شنيعة وقبيحة وما قدرها حق قدرها ، فقد ضاع رأس المال كله - وهو حياته وأنفاسه - فضلا أن ينال به المنافع الدنيوية والأخروية ، بل يعد هذا الإنسان من طائفة المجرمين الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله فيصير به لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا والانتفاع بها من الأكل والشرب كما قال تعالى في هؤلاء المجرمين :

﴿كُلُوا وَشَرِبُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾

المرسلات : ٤٦

وقال : ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾

مريم : ٨٦

نعوذ بالله من ذلك .

والذي لم يصرف رأس ماله هذا (أى عمره) في أمور مفيدة فقد فَقَدَ المنافع ورأس المال جميعا .

وما هذا تمثيل فقط بل يؤيده الحديث الصحيح :
«.....كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» .

صحيح مسلم «كتاب الطهارة» باب فضل الوضوء رقم : ٢٢٣

وقد سبق هذا الاطلاق في كتاب الله أيضا وعبر عن الإيمان والعمل الصالح بالتجارة كما قال تعالى :

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا هَلْ اَدْرٰكُوْا عَلٰى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابِ اَلَيْمٍ ۙ

الصف : ١٠

فإذا كان رأس المال هو العمر والإنسان يتجر به فإن التاجر الكيس والعاقل الذكي هو الذي يستفيد من شيء زائل وفان في كل لحظة لثلا يكون من الخاسرين والخائين في الدنيا والآخرة .

يحكى أن شيخا ذهب عند بائع الثلج فقال : قد فهمت تفسير سورة العصر بتجارة بائع الثلج هذا ، بأنه لو غفل هذا البائع عن تجارة الثلج وبيعه فقد ذهب رأس ماله كله بشكل الماء .

فلذا أقسم الله سبحانه بالعصر أى بالزمان ونبه بقوله :

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

وقال الشاعر :

حياتك أنفاس تعدُّ فكلما مضى نفسٌ منها انتقصت به جزءا
فعليك ياأختي ! أن تشغلي نفسك في تقوية الإيمان
والأعمال الصالحة على كل حين لئلا تزداد حسرتك وندامتك
وحزنك يوم يعرض الظالم على يديه ويقول يا ليتني لم أتخذ
فلانا خليلا .

ففكري ياأختي واختاري الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة
مادمت في قيد الحياة في دار الاختيار لم تطلو صحيفتك وإلا:

فالزمان كالمرأة الحبلى سوف ترين ما تضع

وقال الشاعر :

وسوف ترى إذا انكشف الغبار أفرس تحت رجلك أم حمار
وقال تعالى ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِيرِ﴾ القمر : ٢٦
فالبدار البدار فيما ينفعك ياأختي ! ويرفع قدرك عندالله ،
وإياك والتسويف فإنه شر ، والإنسان معرض للآفات والشواغل الكثيرة .

وقال ابن الجوزي رحمه الله : هذا العمر اليسير يشتري به
الخلود الدائم في فراديس الجنان ، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء
الرحمن ، ومن فرط في العمر في الخسران ، فياخيبة ! المفرط
الحيران ، فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره ، وأن ينظر
لنفسه في أمره ، فيغتنم مايفوت استدراكه وربما حصل
بتضييعه هلاكه اهـ .

وهذا الشاعر ينبهنا ونفسه على الاستعداد للآخرة ويقول :
 محمد ما أعددت للقبر والبلى وللملكين الواقفين على القبر
 وأنت مصر لا تراجع توبة ولا ترعوي عما يذم من الأمر
 سيأتيك يوم لا تحاول دفعه فقدم له زاداً إلى البعث والنشر
 وأخيراً أرجوك يا أختي ! إذا دعوت لنفسك أو للأقارب فادعى
 لوالدتي المحترمة ، وأقريء سورة الإخلاص بإخلاص مرة واحدة
 أو ثلاث لأنها ثلث القرآن :

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

ثم اهدي ثوابها^(١) إلى والدتي (عائشة رحمها الله) لو تفاعلين
 اليوم هكذا يفعل الله بك غدا مثله لأن الله لا يضيع أجر
 المحسنين و ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن : ٦٠ .
 وصل اللهم وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

ابن عائشة

أبوظلحة محمد يونس عبدالستار

ص ب : ١١٠١ المدينة المنورة

ت مكتب ٨٣٦٨٣٨٢ (٤ - ٠٠٩٦٦)

فاكس ٨٣٨٣٤٢٦ - منزل ٨٣٨٠٥٣٧

المملكة العربية السعودية

(١) قال النووي رحمه الله في مؤلفه «كتاب الأذكار» باب ما يفتح الميت من قول غيره : اختلف
 العلماء في وصول الثواب بقراءة القرآن ، فالمشهور من مذهب الشافعي وجماعة أنه لا يصل ،
 وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل ، فالأخبار
 أن يقول القارئ بعد فراغه : اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان ، والله أعلم . انتهى مقاله
 النووي رحمه الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين
وأله وصحبه أجمعين .

بنت الخليج العزيزة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أختي العزيزة ! ياأمة الله ! يامحمية هذا الدين ! وياأمل
هذه الأمة المحمدية ! وياجوهرة هذا المجتمع !
اعلمي ! أن الله سبحانه قد كرمك وهداك لهذا الدين
الإسلامي ، وشرفك بنعمة كلمة التوحيد - لا إله إلا الله محمد
رسول الله - ﷺ ، فلو أن رجلاً من الناس كان يملك جوهرة
من الجواهر السنية لحفظها وأبعدها عن أعين الحاسدين .
فالله سبحانه وتعالى أنزل في كتابه سوراً عديدة ، وبعض
من هذه السور سماها باسمه المبارك كسورة الرحمن ، وسورة
المؤمن ، ومنها : باسم حبيبه المصطفى ﷺ كسورة محمد ،
وياسين ، والمزمل ، والمدثر ، ونزول السورة من فوق سبع سماوات
باسم أحد يدل على عظمته عندالله سبحانه .
وخصك الله أيتها المرأة ! وأنزل الله سورة كاملة باسم «سورة
النساء» ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظمة شأنك
عندالله سبحانه ، ولا نجد في القرآن سورة الرجال كما نجد

باسم «سورة النساء» ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .
وكذلك شرفك الله أيتها المرأة ! وأنزل الله سورة في القرآن
باسم السيدة مريم العذراء بعينها كـ«سورة مريم» وهي المرأة
الوحيدة التي ذكر الله اسمها في القرآن ، وأنزل سورة كاملة
باسمها لعظم شأنها وطهارة قلبها وعفة جوارحها ، وهكذا
أنزل الله سبحانه في القرآن باسم «سورة المجادلة» ، وبين فيها
بعض المسائل المتعلقة بالنساء استغاثة لامرأة بائسة التي كانت
تجادل الرسول ﷺ في زوجها وتشتكي إلى الله وتبكي ، وقد
بدأ الله سبحانه هذه السورة قائلاً :

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ

وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَائِرَ مَا يَدْعُونَ لِلَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَصِيرًا ﴿١﴾
المجادلة : ١ .
ولهذه المرأة قصة غريبة ذكرها الحافظ ابن كثير في
تفسيره ٤ / ٣١٩ وقال : «لقيت امرأة عمر يقال لها : خولة بنت
ثعلبة وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته فوقف لها ودنى منها
وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت
حاجتها وانصرفت ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! حبست
رجالاً قريش على هذه العجوز ، قال : ويحك وتدرى من هذه ؟
قال : لا ، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع
سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله ! لو لم تصرف عني إلى
الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضر
صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها . اهـ .
وفي رواية : أتدرى من هذه ؟ هذه خولة بنت حكيم الذي
سمع الله صوتها من السماء ، فعمر أخرى أن يسمع قولها
ويقتدى به .

وهل تعرفين يا أمة الله ! من أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنشاهم ؟ نعم ، إنها والدتك أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، أول قلب خفق بالإيمان برسالة محمد ﷺ ، وهي أمكن يا أخواتي ! خديجة بنت خويلد التي آمنت برسول الله ﷺ إذ كفر الناس به ، وصدّفته إذ كذّبوه ، وواسته إذ حرموه ، فكانت خير عون له ﷺ في تثبته أمام الصعاب الشدائد ، وهي أول امرأة قرأ عليها جبريل السلام من ربّها وبشّرها ببيت في الجنة كما في الحديث الآتي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال : يارسول الله ! هذه خديجة قد أتت ومعها أناء فيه إدام وطعام ، فإذا أتتك فاقرء عليها السلام من ربها ومنّي ، وبشّرها ببيت في الجنة من قصب (أى لؤلؤ مجوف واسع كالقصر) لا صخب فيه ولا نصب» متفق عليه .

وكيف ننسى هذه المرأة الصالحة عرفها تاريخ الإسلام بأم المؤمنين السيدة خديجة وموقفها من النبي ﷺ حينما أسلمت على يديه وواسته وشجعتته عند نزول آيات الوحي الأول فرجع بها رسول الله ﷺ من غار حراء وهو يرحف بواديه ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال ﷺ : «زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة (تسلياً له ﷺ) : كلاً والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ...» طرفاً من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه .

سبحان الله ! ثم لتشجيع زوجها سيد الرسل ﷺ مرة ثانية ولمزيد من التسلية له تذهب به ﷺ إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل ، «وكان امرءً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب»

وكيف لاناخطب المرأة

لقد رفع النبي ﷺ من شأنك على كل نعيم الدنيا فقال : «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة» رواه مسلم في كتاب الرضاع . والمرأة المسلمة هي المرأة العالمة ، فهذه أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما زوج النبي ﷺ ، الفقيهة الربانية ، المبرأة من فوق سبع سماوات .

ألا ! أنها ملأت أرجاء الأرض علماً ، وقال الزهري عنها : «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل» . وأخرج ابن سعد ٤ / ١٨٩ : «..... قال : كانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس يسألها الأكبر من أصحاب رسول الله ﷺ» . وعنده أيضاً عن أبي سلمة قال : مارأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ ، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه ، ولا أعلم بأية فيما نزلت ، ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها .

وأخرج ابن سعد ٤ / ١٨٩ عن محمود بن لبيد قال : كان أزواج النبي ﷺ يحفظن من حديث النبي ﷺ كثيراً ، ولا مثلاً لعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما ، وكانت عائشة تفتى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت يرحمها الله ، وكان الأكبر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان بعده

يرسلان إليها فيسألانها عن السنن» اهـ . حياة الصحابة ٧٩٩ / ٣ .
وتأملي أختي العزيزة ! الموقف العظيم الذي وقفته أم
المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، وكيف استطاعت بذكاءها الخارق
وحكمتها الربانية أن تخرج برأيها ومشورتها النبي ﷺ والمسلمين
من القلق والاضطراب الشديد الذي خفي على كثير من الرجال الأكابر
من أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك حينما خرج رسول الله
ﷺ يريد العمرة وزيارات البيت ولا يريد قتالا ، فمنعهم أهل
مكة عن أداء العمرة فغضب المسلمون غضباً شديداً حتى كاد
بعضهم يقتل بعضاً غماً وقلقاً .

وذكر قصة الحديبية الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢٠٠ / ٤ كما
رواه البخاري في صحيحه من رواية الزهري وهي :

قال الزهري قال عمر رضي الله عنه : قال : لما فرغ
من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «قوموا
فانحروا ثم احلقوا» قال : فوالله ما قام منهم رجل (لشدة الغضب
والغم) حتى قال ﷺ ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم
أحد دخل ﷺ على أم سلمة رضي الله عنها ، فذكر لها
مالقي من الناس ، قالت له أم سلمة رضي الله عنها : يا نبي الله !
أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر
بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج رسول الله ﷺ ولم
يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنته ودعا حالقه
فحلقه ، فلما رأى ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق
بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً ... اهـ .

فانظري يا أمة الله ! إلى ذكاوة أمك السيدة أم سلمة رضي الله عنها كيف أخرجت بمشورتها الأمة المسلمة من قلق واضطراب الذي خفي على كثير من الرجال من أصحاب محمد ﷺ .
أختي الفاضلة : وهذه أمك أم حبيبة زوج النبي ﷺ لقد سجل التاريخ لها موقفاً من مواقف الإيمان لم تنزل الدنيا تردده فقبيل فتح مكة جاء أبو سفيان والدها إلى المدينة النبوية ليصلح ما أفسدته قريش حين أعانت بكرةً على خزاعة ونقضت عهد الحديبية ، فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ ليستشفع بها إلى رسول الله ﷺ ، وتفأجأت بدخوله بيتها ، وهي التي لم تكن رآته مذ هاجرت إلى الحبشة ، فوقفت واجمة بعد أن نمت إليها خبر نقض قريش للعهد ، فلما رآها على حالها من الوجوم أعفاها من السلام ، وذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ دون استئذان فأسرعت وسحبت الفراش وطوته ، فهت لما رأى من فعلها ، وقال : يا بنية ! ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت بهذا الفراش عني ؟ فأجابته : بل رغبت بهذا الفراش عنك . هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ . فكانت صدمة شديدة الوقع على نفسه لم يكن يتوقعها من أقرب الناس إليه فرد عليها قائلاً : لقد أصابك بعدي يا بنية ! شر .

ولا بد من وقفة تأمل . ترى هل أم حبيبة رضي الله عنها تجهل مكانة الأب في القلب ؟ أم أنها تعلم ؟ فلم إذاً تتصرف هذا التصرف ؟ لقد حزننت على أبيها كيف آثر الكفر وهي

تتمنى إسلامه وتخليصه من الشرك . فلم يكن أمامها أن تصنع إلا الذي صنعته لثريه أن الإسلام فوق مكانة الأبوة والنبوة ، وكما كانت تتمنى أن يتمكن الإيمان من قلب أبيها بعد نزول قوله تعالى :

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَدَلًا فَادْبُرُوا لِحُدُودِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾

المتحنة : ٧

ولقد حقق الله أميتها ومنَّ على أبيها بالإسلام فأسلم وغدا من الذين قال الله تعالى فيهم :

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ المائدة : ١١٩
أختي الفاضلة ! وهل تعرفين من أجبر سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه على أن يقول : «أصابت امرأة وأخطأ عمر» أو قال : «كل أحد أفقه من عمر» .

قد ذكر هذه القصة ابن الجوزي في مؤلفه : «تاريخ عمر بن الخطاب» رضي الله عنه ص ١٧٣ وهي :

في أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد فتح الله على المسلمين أراضي كثيرة واتسعت أرزاقهم ، فغالى الناس في المهور ، فخاف عمر مغبة ذلك ، وأراد أن يضع حداً معيناً للمهر لا يتعداه الناس ، فصعد على المنبر وقال : أيها الناس ! لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية من الذهب وإن كانت بنت ذي القصة - وكان يعني بذلك يزيد بن الحصين وكان في ذلك الوقت أغنى الأغنياء - فمن زاد ألقىت الزيادة في بيت المال .

فردت عليه امرأة من صف النساء المتواجدات في المسجد قائلة : «كيف تصنع هذا يا عمر؟! والله سبحانه وتعالى يقول :

وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَغُوا زَوْجًا مَكَانَ زَوْجِ وَأَتَيْتُمْ . إِنْ حَدَّثْتُمْ فَنظَارًا فَلَا

تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنْ تَأْخُذُوا مِنْهُ بِمَهْتَبِنَا وَإِنَّمَا مِيزَانُنَا ۗ النساء : ٢٠

فما كان من عمر إلا التراجع عن قوله قائلاً : «أصابت امرأة واخطأ عمر» اهـ .
وفي رواية : فقال عمر : «كل أحد أفقه من عمر» مرتين أو ثلاثة ،
ثم رجع إلى المنبر فقال للناس : «إني نهيتكم أن تغالوا في صدق
النساء ، ألا ! فليفعل رجل في ماله ما بدا له» أخرجها سعيد بن
منصور في سننه ١ / ٣ / ١٦٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٧ / ٣٣٣ .
وذكر صاحب المشكاة في «الإكمال في أسماء الرجال» في
ترجمة سيدنا عمر رضي الله عنه وقال :

قال داود بن الحصين والزهري : «لما أسلم عمر نزل جبريل
فقال : يا محمد ! استبشر أهل السماء بإسلام عمر» اهـ .

وروى ابن أبي خيثمة حديث عمر نفسه قال : «لقد رأيتني وما
أسلم مع رسول الله ﷺ إلا تسعة وثلاثون رجلاً فكملتهم
أربعين ، فأظهر الله دينه وأعز الإسلام» ذكره الحافظ في الفتح ٧ / ٥٩ .

وروى البزار نحوه من حديث ابن عباس وقال فيه : «فنزل جبريل
فقال : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾
الأنفال : ٦٤ . كما ذكره الحافظ في الفتح ٧ / ٥٩ .

وروى ابن أبي شيبة والطبراني قال عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه : «كان إسلام عمر عزاً ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة ، والله ما
استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر» فتح الباري ٧ / ٥٩ .

وروى ابن أبي شيبة في تاريخه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
وفي آخره : «فقلت : يا رسول الله ! فقيم الاختفاء ؟ فخرجنا في
صفين : أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر ، فنظرت قریش
إلينا فأصابهم كآبة لم يصيبهم مثلها» راجع الفتح ٧ / ٥٩ .

وروى ابن سعد من حديث صهيب قال : «لما أسلم عمر قال

المشركون : انتصف القوم منا» فتح الباري ٧ / ٥٩ .

هل تعرفين أختي الكريمة ! من كان سبباً في دخوله (أى
عمر) للإسلام ؟ ألا ! إنها فاطمة أخت عمر ، وهي المرأة التي
ضربت أروع الأمثلة في الصبر والشبات وقوة الإيمان واليقين .
أخرج قصة فاطمة أخت عمر هذه ابن سعد ٣ / ١٩١ عن
أنس رضي الله عنه قال : خرج عمر رضي الله عنه متقلداً
السيف فلقية رجل من بني زهرة قال : أين تعمد يا عمر ؟ فقال :
أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بني هاشم وبني
زهرة إذا قتلت محمداً ؟ قال : فقال له عمر : ما أراك إلا قد
صبأت وتركت دين الذي كنت عليه ، فقال : أفلا أدلك على ما
هو أعجب من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أختك وختنك قد
صبوا وتركنا دينك الذي أنت عليه ، قال : فمشى عمر ذامراً -
متهدداً - حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له
خباب - رضي الله عنه - قال : فلما سمع خباب جساً عمر توارى
في البيت فدخل عليهما فقال : ماهذه الهينمة - الكلام الخفي
الذي لا يفهم - التي سمعتها عندكم ؟ قال : وكانوا يقرءون : « طه » ،
فقالا : ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبوتما ؟
قال : فقال له ختنه : رأيت يا عمر ! إن كان الحق في غير دينك ؟
فوثب عمر على ختنه فوطأه وطأ شديداً فجاءت أخته فدفعته
عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها ، فقالت - وهي
غضبي - : يا عمر ! إن كان الحق في غير دينك ! أشهد أن لا إله
إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فلما يئس عمر قال :
أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه ، قال : - وكان عمر يقرأ

الكتب - فقالت أخته : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم
فاغتسل أو توضأ ، قال : فقام عمر فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب
فقرأ :

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرًا

لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾

حتى انتهى إلى قوله إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي

طه : ١ - ١٤

قال : فقال عمر : دلوني على محمد فلما سمع خباب قول
عمر خرج من البيت فقال : أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون
دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس : «اللهم أعز الإسلام
بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام»

وفي آخره : قال : فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر
فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال : أما أنت بمنته
يا عمر ؟! حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن
المغيرة ؟ اللهم ! هذا عمر بن الخطاب ، اللهم ! أعز الدين بعمر
ابن الخطاب قال فقال عمر : أشهد أنك رسول الله فأسلم . كذا
في العيني ٦٨/ ٨ .

وفي رواية للبخاري كما في حياة الصحابة ١/ ٤٤١ عن أسلم مولى
عمر قال : قال عمر وفيه :

فلما فتحت لي أختي (فاطمة) الباب قلت : أيا عدوة نفسها!
صَبَوْتُ ؟ قال : وأرفع شيئاً فأضرب به على رأسها ، فبكت
المرأة وقالت : يا ابن الخطاب ! اصنع ما كنت صانعاً فقد
أسلمت» إلى آخر الحديث .

انظري أختي العزيزة إلى ثبات فاطمة أخت عمر رضي الله عنهما على دينها وجرأتها أمام أخيها عمر الذي قال في حقه المشركون عند إسلامه : «انتصف القوم منا» وهي تقول لأخيها كما قال صاحب ياسين لقومه مؤيداً لنبيه وناصرأ له آنذاك كما قال تعالى حكاية عنه :

﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥٩﴾﴾ فجاد بنفسه في سبيله سبحانه فقال له تعالى : ﴿أَدْخِلِ الْجَنَّةَ قَوْلِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦١﴾﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ ﴿٢٦٧﴾

يس : ٢٦ - ٢٧ .

وهكذا نجد نساء الصفوة الأولى هاجرن مع أزواجهن وشاركن معهم الجهاد قولاً وعملاً وبعثن بأزواجهن وأفلاذ أكبادهن إلى معارك الجهاد بكل فرح وسرور ابتغاء مرضات الله تعالى .

وقد سجل التاريخ للسيدة سمية رضي الله عنها في صفحاته البيضاء أسمى معاني الصور لأول امرأة إريق دمه في الإسلام . وهذه أسماء بنت أبي بكر مثال المرأة الحرة الأبية التي دفعت بولدها إلى طريق الشهادة وحرّضته على الصمود أمام قوي الجبروت والطغيان ، ليموت ميتة الأحرار الكرام .

وهذه صفية بنت عبدالمطلب التي دفعت بنفسها إلى غمار الوغى ، لتدفع يهود عن أعراض المسلمين .

وهذه السيدة الخنساء التي جادت بأولادها الأربعة في سبيل الله وعندما جاءها نبأ استشهادهم قالت : الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم ، وإنني لأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

وهذه ابنة سعيد بن المسيب لما أن دخل بها زوجها ، وكان من أحد طلبة العلم ، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج

فقال له زوجته : إلى أين تريد ؟ وإلى أين أنت ذاهب ؟ قال : إلى مجلس سعيد بن المسيب أتعلم العلم ، فقالت له : اجلس أعلمك علم سعيد ، فوجد عندها ما كان يتعلمه من سعيد بن المسيب رحمه الله .

الله أكبر ! ما أعظم ابنة سعيد وما أكبر شأنها حين أصبحت معلمة الرجال وشيخة بعلمها .

يحكى أنه قال أحدهم : خرجت يوما إلى السوق ومعني جاريتة حبشية ، فاحتستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت : لا تبرحي حتى أنصرف إليك ، قال : فانصرفت فلم أجدها في الموضع ، فانصرفتُ إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها ، فلما رأته عرفت الغضب في وجهي فقالت : يا مولاي ! لا تعجل عليّ ، إنك أجلسني في موضع لم أر فيه ذاكرة لله سبحانه ، فخفت أن يخسف الله بذلك الموضع ، يقول : فعجبت لقولها وقلت لها : أنت حرّة لوجه الله تعالى ، فقالت : بس ما فعلت ، كنت أخدمك فيكون لي أجران ، وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما .

انظري يا أختاه ! إلى فكرة جاريتة حبشية وهي في السوق ، وتحب أن يذكر ربها على كل حين وعلى كل موضع من السوق أو المسجد أو البيت ، فهذا هو شعار عباد الله الصالحين كما قال سبحانه وتعالى :

رَبَّاهُمْ لَا تُلْهِمُهُمْ مَعْزِرَةٌ وَلَا يَتَّبِعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ

الزَّكَاةِ يُخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ النور : ٣٧

وقال أبو العلاء السعدي : كانت لي ابنة عم يقال لها : «بريرة»

تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف ، فكلمنا أنت على آية فيها ذكر النار بكت ، فلم تزل تبكى حتى ذهبت عينها من البكاء ، فقال بنو عمها : انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعدلها في كثرة البكاء ، قال : فدخلنا عليها فقلنا : يا بريرة ! كيف أصبحت ؟ قالت : أصبحنا أضيافاً منيفين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب ، فقلنا لها : كم هذا البكاء ؟ وقد ذهبت عينك منك ، فقالت : إن يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما مذهب منهما في الدنيا ، وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاءً أطول من هذا ، ثم أعرضت فقال القوم : قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه .

وقال الشاعر في اللغة الأردية في صفات النساء الصالحات ونعم ما قال وهذه ترجمته :

أمهاتي وأخواتي وبناتي ! إن الدنيا وزينتها ماهي إلا بوجودكن ، أنتن عمار الأوطان ، وشرف الأقسام لا يوجد إلا بوجودكن . أنتن رئيسات البيوت وعمران البلدان ، ومسرات للقلوب الحزينة والأفراح والسرور في الأحزان لا يوجد إلا بحول الله سبحانه ثم بوجودكن . والأوطان غربة ووحشة إذا لم توجد النساء ، والحدائق مخربة ولا توجد لذة الحياة في السفر ولا في الحضر إلا بفضل الله ثم بوجودكن ومرافقتكن .

أنتن أيتها النساء ! صورة البر والتقوى ، وتدبير العفة والمعافاة ، وأنتن حافظات الدين ، ولا يكمل الإيمان إلا بوجودكن ، إشارة إلى قوله ﷺ : «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الباقي» رواه البيهقي في الشعب كما في المشكاة كتاب النكاح .

والحياء من فطرتكن أيتها البنات ! والمحبة والوفاء من جبلتكن ، الصبر والرضا من أصلكن ، والإنسان عبارة بوجودكن .
أنتن محبات للأزواج ومونسات للأولاد والأطفال ، والبيوت خربة ودمار ولا توجد السعادة والراحة فيها إلا بوجودكن .
ولكن مع الأسف : لا يفرح أحد من الوالدين وقت ولادتك إلا ماشاء الله ، وأكثر ما يطلب الإنسان من الله هو الذكر لا الأنثى ، وذلك إشارة إلى قوله تعالى :

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ النحل : ٥٨
أختي ! تفكري معي ، كيف كانت هذه النساء قد ذكرهن الله سبحانه في كتابه من فوق سبع سموات ، وأثنى عليهن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولا يعبأ الرجال أن يفتخروا بمثل هؤلاء اللاتي أمثلأت هن صحائف الكتب ذكراً حسناً وسجل التاريخ هن أعمالاً خالدةً .

ألا تحبين أختي الكريمة ! أن تكوني في زمرة هؤلاء البنات الصالحات القانتات التائبات العابدات حتى يسجل التاريخ لك أعمالاً خالدة ، وتكون لك عند الله منزلة رفيعة .

أختي العزيزة ! تأملي بعين البصيرة والاعتبار حال كثير من النساء في هذا الزمان ، ينزلن إلى الأسواق لحاجة أو لغير ما حاجة ، بل وربما لأمر تافهة ساقطة ثم لا يخفن الله ، ويفعلن ما يفعلن ، بل وربما تبرجن - تبرج الجاهلية الأولى - بل ولربما تعطرن وتزينن في نزولهن إلى الأسواق أكثر من تزيينهن لأزواجهن بل ولربما نزلن مع الرجال الأجانب وقمايلن

ذات اليمين وذات الشمال . وقد قال رسول الله ﷺ :
«أيما امرأة استعطرت ثم خرجت ، فمرت على قوم ليجدوا
ريحها فهي زانية» صحيح الجامع : ٢٧٠١ . رواه الإمام أحمد .
ويشعر المرء من جراء ما يحدث في الأسواق أن تبلع الأرض
السوق بمن فيه .

فسبحان من يمنع البحر ويكفه عن الأرض لئلا يغمرها
فيغرق أهلها .

كما يدل على ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه
الله تعالى عن العوام بن الخوشب قال : حدثني مرابط : قال :
خرجت ليلة لمحرسي لم يخرج أحد من الحرس غيري فأتيت
الميناء فصعدت فجعل يخيل إلي أن البحر يشرف يحاذي رؤوس
الجمال ، فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ ، فلقيت أبا صالح فقال :
حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : «ما من ليلة إلا
والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم
فيكفه الله عزوجل» راجع التفسير لابن كثير ٤١٢ / ٤ .

انظري يا أختاه ! إلى شئوم ذنوبك وذنوب الرجال إلى أين تصل؟
تصل البر والبحر فيغضب بها فيستأذن ربه أن يغرق أهل الأرض
جميعاً فلم يؤذن الله له رحمة بعباده .

وتصديق ذلك الشئوم التي تصل إلى مشارق الأرض ومغاربها
بسبب ذنوب العباد من الرجال والنساء في قوله تعالى :

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤٣٦ / ٣ : ومعنى قوله تعالى :

﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ أى بأن النقص في الزرع والثمار بسبب المعاصي .

وقال أبو العالية : من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة . ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود : «لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً» .

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن تعاطي المحرمات ، وإذا تركت المعاصي كان سببا في حصول البركات من السماء والأرض .

ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية وهو تركها فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف قيل للأرض أخرجني بركتك فيأكل من الرمانة الفئام من الناس ويستظلون بقحفها ، ويكفى لبن اللقحة الجماعة ، وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة محمد ﷺ ، فكلما أقيم العدل كثر البركات والخير ، ولهذا ثبت في الصحيحين : «أن الفاجر إذا مات يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب .

وقال الإمام أحمد عن أبي محمد قال وجد رجل في زمان زياد أو ابن زياد صرة فيها حب يعنى من بر أمثال النوى مكتوب فيها هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل . اهـ من التفسير لابن كثير رحمه الله ٤٣٦ / ٣ .

اعلمي ياأختي ! أن للمعصية شئوماً على كل شيء على النفس والزوجة والأولاد والدابة في البيت ، ولهذا قال الفضيل بن عياض :

«إني لأعصي الله ، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمتي
وامراتي وفأر بيتي» البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ١٩٩ .
وقال مجاهد : «إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتد
الجدب ، وأمسك المطر وتقول : هذا بشئوم معصية بني آدم» كما
في الجواب الكافي ص ٩٠ .

وقال عكرمة : «دواب الأرض وهوامها حتى الخنافس يقولون :
منعنا القطر بذنوب بني آدم» كما في الجواب الكافي ص ٩٠ .
وقال أبو هريرة رضي الله عنه : «إن الحبارى تموت في وكرها من
ظلم الظالم نفسه بالعصيان والمعصية» نفس المرجع .

أختي العزيزة ! هذا ما قيل في شئوم ذنوبنا نحن ، وقد أصبحت
المرأة العصرية تشتري من السوق بمال الله تعالى ما لم يحبه الله
لها ولا تحمد وتثنى على هذه النعمة والعطية حينما تستعمل
بكل جرأة ما حرمه الله ، مثله كمثل الملك الذي أعطى لعبده
السيف جائزة له ، فهذا العبد الجائر يهجم بهذا السيف على
الملك ولا يبالي ، فبئس العبد هذا بأن مولاه ينعم عليه بالمال وهو
يهجم عليه بإنفاقه في سبيل الغي .

وصدق الله العظيم : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ عبس : ١٧
وصدق الله العظيم : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ
ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ
الْكَبِيرُ ﴾ فاطر : ٣٢

يأسفنى على هؤلاء البنات ! تلك لا تعرف من العلم شيئاً
لكن إن سئلت عن الحان الغناء أو التمثيل أو الفيلم لأجابت
وبغاية الفصاحة نطقت ، ولو سئلت عن بعض سنن الرسول
﴿ ﷺ ﴾ أو الأدعية المأثورات لما نطقت وتكون مثل هؤلاء الذين

قال الله تعالى في شأنهم :

﴿صُمُّكُمْ غُمِّيْ فَهَمْ لَا يَعْقِلُوْنَ﴾ البقرة : ١٧١ .
وياأسفى على هؤلاء البنات ' يجدن الوقت والساعات لتزيين
أجسادهن وتجميلها أمام المرايا الطويلات ، ولكن لا يجدن
فرصة للصلاة ولا لتعليم الدين فكيف لا تتمنى الأرض أن تبلع
مثل هؤلاء النساء .

وياأسفى على هذا اللسان الذي أصبح عاجزاً عن قراءة القرآن
أحسن الحديث وحفظه وتعلم أحكامه .

وياأسفى على هذه العين التي تقصر عن رؤية الكلمات التي
نظر إليها رسول الله ﷺ من القرآن الكريم .

وياأسفى على الأذن التي سمعها نغمات الأبيات من أصوات
القينات الفاحشات .

وياأسفى على هذه الأيدي التي تأخذ المجلات الفاحشة
والقصص الشنيعة بدلا عن القرآن وكتب الحديث .

وياأسفى على الأقدام التي تمشي إلى دور الأندية والتمثيل
ومقاعد الشيطان بدلا عن المساجد ومجالس العلم والمعرفة .

تأملى ياأختي ! أن كل ما تفعلين يكتب ويسجل في صحيفة
أعمالك عندالله حتى خطاك بأرجلك وأثرها تمشين بها إلى
السوق أو إلى المسجد ومجالس العلم والمعرفة كما قال تعالى :
﴿وَتَكْتَسِبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَارَهُمْ﴾ يس : ١٢ .

قالُ الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ٥٦٦ / ٣ : أن المراد
بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية .

وقال قتادة : لو كان الله عز وجل مُعَفِّلا شيئا من شأنك يا ابن

آدم ! أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار ، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل اه .

وصدق الله العظيم في شأن هؤلاء الغافلين :
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ لَمْ أَضَلْ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْقَاتِلُونَ الأعراف : ١٧٩

تفكري يا اختاه ! هل كتب القدر بأنك مطرودة عن رحمة الله إلى هذا الحد وما أنت بموفقة لأعمال أهل البر والتقوى ؟

وتفكري أيضاً : هل أنت مصداق هذه الآية : ﴿أولئك الألدین لم یرد الله أن یطهر قلوبهم﴾ المائدة : ٤١ .

وتأملي ! ﴿ألم یأن للذین آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الحديد ١٦ .
فإذا لم تجدی خشية الله في قلبك ولا ترجعین إلى ربك بعد الإيمان بالله وبرسوله ﴿ﷺ﴾ : ﴿بسمآ یأمرکم به ایمانکم إن کنتم مؤمنین﴾ البقرة : ٩٣ .

وقد قال النبي ﴿ﷺ﴾ ذات يوم لأصحابه : «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا : إنا نستحي من الله يانبي الله ! والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن من استحي من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء» رواه أحمد والترمذي كما في المشكاة باب تمنى الموت .

وتذكري يا اختي ! أن الله سبحانه يقول :

وقد روى الحافظ ابن عساكر عن مكحول قال : قال النبي
 ﴿ﷺ﴾ : «يقول الله تعالى : يا ابن آدم ! قد أنعمت عليك نعماً
 عظيماً لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها ، وإن مما أنعمت
 عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاءً
 فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك ، وإن رأيت ما حرمت عليك
 فأطبق عليهما غطاءهما ، وجعلت لك لساناً وجعلت له
 غلاًفاً ، فانطق بما أمرتك وأحللت لك ، فإن عرض عليك
 ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك ، وجعلت لك فرجاً
 وجعلت لك ستراً ، فأصّب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض
 عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم ! إنك لا
 تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي» راجع التفسير لابن كثير ٤ / ٥١٣ .
 ولا شك أن الإنسان قد أنعم الله عليه نعماً كثيراً لا يحصى
 عددها ولا يطيق شكرها .

فانظري يا أختاه ! إلى نعمة الأيدي وإلى الأفعال التي تصدر
 بهما في حياتك .

وهذه قصة عجيبة وغريبة عرضت لي في الحرم النبوي
 الشريف بمدينة المصطفى ﴿ﷺ﴾ ، فإن في ذلك لعبرة لمن اعتبر
 وإلا فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
 وقال الشاعر :

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة
 قال الراقم : بينما نحن في الحرم النبوي الشريف ذات ليلة إذ
 طلع علينا رجل نحيف مقطوع اليدين إلى الإبطين ، متزين

الوجه باللحية حسب شريعتنا البيضاء ، يتميل إلى الجانبين عند مشيه ، وكان معه رجل يقوده واضعاً يده على عنقه لكي لا يتميل عند المشي ويخر ، جلس في المسجد إلى جنبي الأيمن وأنا أنظر إليه وأتفكر فيه حتى أقيمت صلاة العشاء ، فلما رجعت إلى بيتي بعد الصلاة ودخلت الفراش أتقلب على فراشي ذات اليمين وذات الشمال حتى لم أكتحل بالنوم تلك الليلة وأنا متفكر في حالته هذه وأقول :

هل هو يقدر أن يأكل شيئاً أو يشرب المشروب بنفسه ؟

هل له أن يلبس الثياب ويخلعها حينما يريد ؟

هل له أن يزمل جسده بالبطانية في ليالي الشتاء بنفسه ، والإنسان يحتاج إليه في الليل مرات كثيرة ؟ فمن يترك فراشه الناعم ويقيم ليفظي هذا العبد المحتاج في ليالي الشتاء .

هل يقدر أن يطهر جسده بالماء بغير معين ؟

هل له أن يحك داخل الأذن والأنف بالأصبع أو يدعو معيناً له أو خادماً لهذا العمل .

هل له أن يحك أي عضو من جسده أو يرغم جسده بالأرض أو بالجدار ليقضي حاجته ؟

وكيف يغسل وجهه هذا العبد العاجز ؟

وكيف يمسخ النوم عن وجهه وهو مقطوع اليدين إلى الإبطين ؟

وهل له من زوجة يلعب معها وتلعب معه ؟

أئني له ذلك كله ؟ إلا ما شاء الله ، ولكن في الجنة له كل شيء إذا صبر واحتسب على حالته هذه إن شاء الله .

وهل هو يقدر أن يفتح باب بيته المقفل أو ينتظر غيره ؟

وكيف يجده شاكراً أو كفوراً هذا العبد الضعيف ؟

وكيف يكون ظنه بربه سبحانه ؟

وهل ؟ وهل ؟ وكيف ؟ لا تعد

ولا تحصى .

كلا لا يقدر على أي شيء يستعمل فيه الأيدي ليقضي

حاجته بنفسه إلا بتعاون غيره .

وقلت في نفسي : أبحث عن هذا العبد غداً في الحرم النبوي

الشريف إن شاء الله ، فإذا وجدته أسأله عن حالته هذه وأسأله

كيف يجد نفسه بربه سبحانه ؟

فلما كان من اليوم الثاني أتيت الحرم النبوي الشريف أبتغي هذا

الرجل المذكور ، فدخلت في دورة المياه وجلست لأتوضأ فإذا

هذا الرجل المذكور وجدته جالسا إلى جنبي الأيمن ، كاد أن يفك

سنبور الماء بأسنانه ، ففتحت له سنبور الماء بيدي ، فشكر

لي وبدأ يتمضمض ، فإذا معينا له ورد بعد قليل ، فغسل

وجهه وخلل لحيته وغسل رجليه ، ثم توضأ بنفسه وذهب به

إلى الحرم النبوي الشريف وأنا أمشي معه وهو ينظر إليّ وأنا أنظر

إليه ، فلما دخلنا الحرم وجلسنا معاً سألته في أثناء الكلام :

كيف تجدك في هذه الحالة ؟ وما ظنك بربك يا عمّي ؟ فتبسم

ضاحكاً وقال : حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

ثم قرأ عليّ قول خالقه : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَكَ آَلَاءُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ

مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة : ٥١

وقرأ قوله سبحانه : مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٣٤﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى

مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٦﴾

الحديد : ٢٢ - ٢٣

وقرأ قوله سبحانه : ﴿الَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ الزمر : ٣٦ .
ثم قال بعد ذلك : أنا ما أقول إلا كما قال سيدنا يعقوب
عليه السلام : ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ يوسف : ٨٦ .
وقال : أنا راض من ربي ، أنا راض من ربي وأقول أمامك : رضيت
بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ﷺ ، وأدعو الله أن لا
يخزني يوم تجرد كل نفس ما عملته حاضراً .

وقال لي بعد ذلك : يا بني ! ألا ترى أن كثيراً من الناس
يلقون في النار بسبب أعمال الأيدي والأرجل وغير ذلك من
الأعضاء ويختم الله على أفواه الناس حين ينكرون ما ارتكبهوا في
الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنتطق
جوارحهم بما عملت ، كما قال تعالى :

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

يس : ٦٥

وقال يابني ! أنا مأمون من أعمال الأيدي الشنيعة ، ومن
المحتمل أن يكون هذا سبباً لغفران نفسي عند الله سبحانه وأن
الله سبحانه لا يظلم الناس شيئاً .

إي والله ! وجدته كأنه جبل الصبر ، وكان من حفاظ القرآن
الكريم ، وكان من المعتمدين الباكستانيين ، راض على خالقه
الذي خلقه على هذه الحالة ، ينصح الناس ويدعو الله أن لا
يخزيه يوم القيامة .

فعلينا يا أختاه ! أن نستعمل أعضاءنا كلها في رضوان الله

سبحانه لأن الأيدي والأقدام واللسان والعين والفرج والفخذ كل ذلك يسأل عنه يوم القيامة ثم يشهد كل عضو من الإنسان على الإنسان . وصدق الله العظيم : ﴿يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور : ٢٤ .

وقال قتادة : ابن آدم ! والله إن عليك لشهوداً غير متهمة من بدنك فراقبهم ، واتق الله في شرك وعلانيتك ، فإنه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٧٨/ ٣ .

أختي العزيزة ! هذا نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه يشكو أمته بين أصحابه ويقول : «مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ماحولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن (أى يمنعهن) ويغلبنه (أى على الوقوع) فيقحمن فيها (أى يدخلن النار) ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها» ، هذه رواية البخاري ولمسلم نحوها وقال في آخرها :

«فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني تقحمون فيها» كما في المشكاة باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

أختي العزيزة ! من قضى حياته في هذه الدنيا لعباً ولهواً وبما تشتت به النفس وما زال يخالف فيها أمر الله ورسوله ﷺ وترينيه في نعمة وسرور وجنات وعيون ، وتعجبك أموالهم وأولادهم وعيشتهم فاسمعي ! ماذا يقوله سبحانه في

مثل هؤلاء : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ التوبة : ٥٥ .

وقال النبي ﷺ : «إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب ، وهو مقيم على معاصيه ، فإنما ذلك منه استدراج» كما في الصحيح الجامع الصغير ٥٧٥ - ٢٥٣ .

معناه : «الأخذ بالتدريج ، والمراد هنا : تقريب الله العبد إلى العقوبة شيئاً فشيئاً ، واستدراجه تعالى للعبد أنه كلما حدّد ذنباً ، جدّد له نعمة وأنساه الاستغفار ، فيزداد أشراً وبطراً ، فيندرج في المعاصي بسبب تواتر النعم عليه ، طائفاً أن تواترها تقريب من الله ، وإنما هو خذلان» فيض القدير للمناوي ١ / ٣٥٤ .
فلا بد إذاً أن تكون ذنوبنا نصب أعيننا ، وإلا كنا من المستدرجين .

قال الراقم : قد حكى لي شيخ كبير مرة حكاية لزميله الشاعر فقال : كان لي زميل وصديق ، وما رأيت قط في حياته يعمل عملاً صالحاً أو يصلي الصلاة ، وأحياناً يعترف بنفسه أمامي بهذا الكسل والغفلة والبعد عن الأعمال الصالحة ، فلما حضره الموت أنشد بيتين فقال في البيت الأول وهو يعرق جبينه من شدة الموت ويخاطب أهله في اللغة الأردية وترجمته :
عرق الموت قد طلع على الجبين وناصيتي ، فاحضروا لي المرأة يا أهل بيتي ! كي أنظر إلى صورة الحياة الأخيرة بعيني .
ثم بعد ذلك لما رأى ما رأى أمام عينيه وتذكر حوادث الحياة تأوه وأنشد ما ترجمته :

آه ! وبأسفَى على حياتي ، والله ما سجَّلتُ في صحيفة أعمالِي شيئاً من الأعمالِ الصالحة في حياتي هذه ، فالآن والله انتبَهت من النوم والغفلة وقد فتحت عين قلبي إذ تفارق الروح الجسد فأتاه آت وذاق الموت بعد إقراره هذا .
 كأنه يقول : الآن حينما تنفصل الروح من الجسد عرفتُ أن هذه الحياة كانت لغرض خاص ولأعمال خاصة ، وقد كنت في غفلة من هذا وما استعدت للأخرة شيئاً ، وهذا كما قال تعالى :
 لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكُفُّوا عَنكَ غَفْلَةً كَافِرِينَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ

ق : ٢٢

ومما لا شك فيه أختي العزيزة ! أن وقت الموت شديد ، تتقلب فيه الأبصار ، وتفزع القلوب ، وتهتز الأجسام ، وتهدم اللذات ^١ وتفني الراحة حينما يأخذ ملك الموت روح الإنسان بعسر فتغرق في نزعها وذلك قوله تعالى :
 ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ النازعات : ١ .

أختي الكريمة ! هل فكرت بأنك ستذهبين إلى حفرة مظلمة وضيقة ، وتهجرين هذه الغرف الجميلة والفيئات الواسعة التي فيها جنات وعيون وزروع ، والأزهار بألوانها وأنواعها ، جهزتها للنوم الهادئ واللعب فيها مع زوجك ، وتركينها يوماً من الأيام وتمكثين في الظلام بدلا عن نور القنديل والفانوس الغالي ، وتدعين رونق هذه العمائر المنقشة وتسكنين المدينة الساكنة - القبور - لا تسمعين فيها إلا همسا .
 والموت يخطف منك فراشك المحبوب الناعم ، والغرف المزينة بالسجاجيد الناعمة الحديثة ، ويلقيك في غرفة ترابية

مظلّمة - إلا ما شاء الله - في أربعة أذرع من الأرض ، وكنّت قبل ذلك متوفّر عندك البطانيات الحديثة الناعمة والمرغوبة وكنّت ترتدينها على جسدك بالفرحة والسرور ، ولكن اليوم بعد الموت سيكون سنام القبر بطانيتك وترابه فراشك الخشن .

وهكذا يقول ربنا تعالى يا ابنة حواء :

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْوُنٍ ﴿٢٥﴾ وَرُزُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَتَعَمَّرَ كَأَنُوفًا فَانكَبِينَ ﴿٢٧﴾
كذالك وأورثتها قوماء آخرين ﴿٢٨﴾
الدخان : ٢٥-٢٨

تفكري لمحّة أختي العزيزة ! ماذا تفعلين في ذلك الوقت عندما يأتي منكر ونكير في قبرك ويقعدانك ويسألانك : من ربك ؟ وما دينك ؟ واعلمي أنه في ذلك لا يتحدث هذا اللسان الجلدي بل يتحدث آنذاك لسان الأعمال ، فلو كنت تحبين القرآن فإن الذي سيحدث القرآن ، ولو كنت تحبين الصلاة فتكون هذه الصلاة نوراً لك وبرهاناً وحجة ، وعسى أن تحميك هذه الصلاة من عذاب القبر ومسألة منكر ونكير كما في الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا أدخل الميت القبر مُثَلَّث (أى صورت وخيلت) له الشمس عند غروبها ، فيجلس يمسح عينيه ويقول دعوني أصلي » كما في المشكاة كتاب الإيمان باب إثبات عذاب القبر . قال في المرقاة في شرح هذا الحديث : قوله : « دعوني » أى اتركوا كلامي والسؤال عني .

وقوله : « أصلي » أى أريد أن أصلي خوف الفوت قبل الموت ، كأنه يظن أنه بعد في الدنيا ويؤدي ما عليه من الفرض ويشغله من قيامه بعض الأصحاب ، وذلك من رسوخه في أدائه ومداومته عليه في الدنيا . انتهى

وللترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب
أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأق النبي
ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ : «وهي المانعة ، هي المنجية ،
تجيه من عذاب القبر» وذكره ابن كثير في تفسيره ٤ / ٣٩٦ .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال : «والذي نفسى بيده إن الميت
ليسمع خفق نعالهم حين تولون عنه مدبرين ، فإن كان مؤمنا
كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه ، والصوم عن يساره ،
وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى
الناس إلى رجله ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي
مدخل ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ،
فيؤتى عن يساره فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، فيؤتى من
عند رجله فيقول فعل الخيرات : ما قبلي مدخل ، فيقال له :
اجلس ، فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب ، فيقال
له : أخبرنا عما نسألك ، فيقول : دعني حتى أصلي ، فيقال له
إنك ستفعل ، فأخبرنا عما نسألك ، فيقول : وعمّ سألوني ؟
فيقال : رأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ، ماذا تقول فيه ؟
وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أمحمد ؟ فيقال له : نعم ،
فيقول : أشهد أنه رسول الله ، وأنه جاءنا بالبينات من عند الله
فصدقناه ، فيقال له : على ذلك حييت ، وعلى ذلك مسّت ،
وعليه تبعث إن شاء الله ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ،
وينور له فيه ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له : انظر إلى ما

أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسروراً ، ثم تجعل نسمة في
النسم الطيب ، وهي طير خضر ، يعلق بشجر الجنة ، ويعاد
الجسد إلى ما بدىء من التراب» وذلك قول الله : ﴿ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ
ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ ۲۷ إبراهيم :

ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عمر وذكر
جواب الكافر وعذابه . كما في التفسير لابن كثير ٥٣٥/ ٢ .

والشاعر ينسب الغافلين ويحضهم على الاستعداد للموت ويقول :
محمد ما أعددت للقبر والبلى وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة ولا ترعوي عما يذم من الأمر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه فقدم له زاداً إلى البعث والنشر
ونبهننا على ذلك ربنا تعالى قائلاً : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَلْتَحْطُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ اخشع : ١٨

أختي الفاضلة ! تفكري قليلاً في فزع القبر وأهواله ، هل
تنفعلك اليوم القصص الماجنة ، والأفلام الهابطة الساقطة ،
والمؤلفات الفاحشة والبرامج السفيهية ، وهل تفيدك آنذاك
الأغاني المرغوبة والمحسوبة في هذه المدينة التي تعرض عليها
النار بالعشي والإبكار - إلا من رحم الله - وهل تدفع عنك هذه
النغمات والمجلات والأفلام لدغات الحيات والعقارب في قبرك؟
وهل تنفعلك نميمتك وخذعتك التي كنت تضحكين بها
على أخواتك ؟ وهل كل هذا يوفر لك السعادة والهناء والسكينة
في هذه الحفرة المظلمة المهجورة ؟ كلا والله ! لا ينفعك إلا ما
قدمت لنفسك إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وقال الشاعر :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت يبنها
فإن بناها بخير طاب مسكنه وإن بناها بشر خاب بانيها
وقال قائل : يامن تنطقون بالشهادتين وتعملون بحقوقهما ؟
ويامن تقيمون الصلاة وتؤدون أركانها ! كيف ترضون لأنفسكم
السباحة في بحر الدنيا من غير قميص النجاة ؟
وكيف ترضون لأنفسكم الغوص في المعاصي من غير
استغفار أو توبة ؟ لا أظن أن أحدنا يقر له قرار ، أو يهدأ له بال ،
إذا علم أن خلفه :

الموت وسكراته والقبر وآلامه
والبعث وأهواله والحشر ومآله
والميزان ودقته والحساب وشدته
والصراط وعراقيله وعذاب النار

وقد قال سبحانه وتعالى يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾

ق : ٣٠

ولنتخيل لو أننا قبضنا هذه الساعة فكيف سنواجه ربنا
الذي بطشه شديد ؟ وبأي عمل سنقابله ؟ وماذا يكون جوابنا
لو سئلنا :

﴿ أَلَمْ نَعْمَدْ إِلَيْكُمْ بَنِيَّ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لِكُرْهُدٌ وَفُحِّينٌ ﴿٦٠﴾

وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جَحِلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا

يس : ٦٠-٦٢

تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

فدايا أيها المغرور قم وانتبه قد فاتك المطلوب والركب سار
إن كنت أذنبت فقم واعتذر إلى الكريم يقبل الاعتذار

والهض إلى مولى عظيم الرجا يغفر بالليل ذنوب النهار
فعل العاقل أن يجهز نفسه للموت ولا يهمل نفسه ولا
وقته ، بل يصبح كل يوم على تقدير الاستعداد للرحلة ، وما من
وقت إلا والموت فيه ممكن ، وهذا أمر لا ريب فيه .

والناس مختلفون في كل الأشياء إلا الموت فلا خلاف فيه ، قال

تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٥٧) العنكبوت : ٥٧ .
وشاعر يقول :

أكدح لنفسك قبل الموت في مهل ولا تكن جاهلا في الحق مرتابا
إن النية مورود مnahلها لا بد منها ولو عمرت أحقابا
وفي الليالي وفي الأيام تجريرة يزداد فيها أولو الألباب ألبابا
بعد الشباب يصير الصلب منحيا والشعر بعد سواد كان قد شابا
يفني النفوس ولا يقى على أحد ليل سريع وشمس كرها دابا
لمستقر وميقات مقدره حتى يعود شهود الناس غيابا
ومن تعافره الأيام تبدله بالجار جارا وبالأصحاب أصحابا
خلوا بروجاً وأوطاناً مشيدة ومؤنسين وأصهاراً وأنسابا
فيا له سفرأ بعداً ومغتربا كسيت منه لطول النأي أثوابا
كم من مهيب عظيم الملك متخذ دون السرادق حراسا وحجابا
أضحى ذليلا صغير الشأن منفردا وما يرى عنده في القبر بوابا
وقيل لإبراهيم بن أدهم : أين العمران ؟ فأخذ يد السائل
ومضى معه إلى المقابر ، وأشار إلى المقابر وقال : هنا العمران .
أخواتي وأمهاتي ! عليكن أن تفكرن في الذين رحلوا ، أين نزلوا ؟
وتفكرن أن القوم نوقشوا وسئلوا .

واعلموا أيها الناس أنكم كما تعزلون ، عزلوا ، ولقد ودوا

بعد الفوات لو قبلوا . وقال الشاعر :

سألت الدار تخيرني عن الأحباب ما فعلوا
فقلت لي : أناخ القوم أياماً وقد رحلوا
فقلت : فأين أطلبهم ؟ وأي منازل نزلوا ؟
فقلت : بالقبور وقد لقوا والله ما فعلوا
أناس غرهم أمل فبادرهم به الأجل
فنوا وبقي على الأيام ما قالوا وما عملوا
وأثبتت في صحائفهم قبيح الفعل والزلل
فلا يستعجبون ولا لهم ملجأ ولا حيل
ندامى في قبورهم وما يغنى وقد حصلوا
أخرج الدينوري وابن عساكر عن كميل بن زياد قال : خرجت

مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فلما أشرف على الجبان -
الصحراء وتسمى بها المقابر - التفت إلى المقبرة فقال :

يا أهل القبور ! يا أهل البلى ! يا أهل الوحشة ! ما الخبر
عندكم ؟ فإن الخبر عندنا : قد قُسمت الأموال ، وأيتمت الأولاد ،
واسُبدل بالأزواج ، فهذا الخبر عندنا ، فما الخبر عندكم ؟ ثم
التفت إليّ فقال : يا كميل ! لو أذن الله لهم في الجواب لقالوا : إن
خير الزاد التقوى ، ثم بكى ، وقال : يا كميل ! القبر صندوق
العمل ، وعند الموت يأتيك الخبر . كما في الكنز ٢ / ١٤٢ .

أختاه أيتها الأمل ! تفكري بالموت وسكراته ، وصعوبة
كأسه ومرارته ، فكفى بالموت مكرهاً للقلوب ، ومسقياً للعيون
ومفرقاً للجماعات ، وهادماً للذات ، وكافياً للأهنيات .
وكيف بك أيتها المرأة ! إذا صاح إسرافيل ، ونفخ في الصور ،

تصوري خروجك مذعورة ، تسعين من تحت الشرى والمدر ،

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ .

﴿٥١﴾ قَالُوا إِنَّا بَلَّغْنَا مِنْ بَعْثِنَا مِنْ مَرْفِدٍ نَاهِدًا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ

وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ يس : ٥١ - ٥٢

وشخصت الأبصار لتلك الأهوال ، وخشعت الأصوات

للرحمن ، فلا تسمع إلا همسا ، فقلق الخائف ، وشاب

الصغير ، وسعرت النار ، وأحيطت به الأوزار ، ونصب الصراط ،

ووضع الميزان ، وأحضر الحساب ، وجيىء بجهنم تقاد

بسبعين ألف زمام ، ومع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

وقد قال تعالى :

وَمَا يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَعُ الرَّاسُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّ لَهُ الذِّكْرَى ﴿٥٣﴾

يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٥٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٥٥﴾

وَلَا يُؤْتِيهِمْ فِيهَا فَتَةً ﴿٥٦﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ فِيهَا فَتَةً ﴿٥٧﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ فِيهَا فَتَةً ﴿٥٨﴾

إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُرْضِيَةً ﴿٥٩﴾ فَأَدْخِلْ فِي عَبْدِي ﴿٦٠﴾ وَأَدْخِلْ حَتَّى ﴿٦١﴾

الفجر : ٢٣ - ٣٠

وعندئذ ياأختي ! شهد الكتاب ، وتقطعت الأسباب ، فكم

من كبير يقول : وا شيبته ! وكم من كهل ينادي بأعلى صوته :

وا خيبته ، وأيقن بالذنوب كل فاجر وفاجرة ، فأين عُدتك ياغافلة

تفكر ياأخي ! وتفكري أيتها الأخت !

كم درهم ربا قد أكلت

وكم كأس من الخمر قد شربت

وكم فتاة معها قد سهرت حينما

يطلب الأبرار من الله العفو والمغفرة

فما فكرت آنذاك أنها مثل بناتك وابنة أخيك المسلم أو غيره
فانتبه أيها الغافل ! على مكافأة الأعمال وقصاصها، فمن ظلم
ظلم ، ومن ضحك ضحك ، وكما تدين تدان . وصدق الله العظيم :

وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ لِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

الأنعام : ١٢٩

وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا ويد الله فوقها ولا ظالم إلا سبلي بظالم
قيل : إنها كانت امرأة سالحة ، وكان زوجها يصوغ الحلبي ،
ولها رجل سقاء يدخل منذ ثلاثين سنة لا ينظر إليها ، فدخل
يوما وشد على يد الزوجة فلما جاء زوجها قالت له : هل
وقع منك اليوم ذنب ؟ قال : امرأة اشتريت مني سواراً فقبضت
على يدها ، فقالت : قد وقع القصاص في زوجتك كما فعلت
في امرأة أخيك المسلم ، فلما كان من الغد جاء السقاء يعتذر ،
فقالت له : لا بأس عليك ، إنما الفساد من زوجي . ويؤيد ذلك
قول القائل : «عُفُوا عن نساء الناس تعف الناس عن نساءكم» .
اللهم احفظنا من أعمال السوء وقصاصها في الدنيا والآخرة ، وياربنا
لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا آمين يارب العالمين .

وكم صلاة لله قد ضيَّعت
وكم صيام للسرب قد هجرت
وكم أسرع فيما يؤدي دينك ودأبت
كم خرقت ثوب إيمانك وما رأيت
كم فاتك من خير وما اكترت
يا كاسب الخطايا بئس ما كسبت

جمعت جملة من حسناتك ثم اغتبت
ياعقرب الأذى كم لدغت كم نسبت
تعلم أن مولاك يراك ، وما تأدبت
تؤثر مايفني على مايقى وما أصبت
تصبح تائباً ، فإذا أمسيت كذبت
تأنس بالدنيا وغرورها وقد جربت

أيها التاجر العالمي للمعاصي والذنوب !
وياشريك السوق الدولي للآثام والحبوب !

قد أخترت حرفة التجارة القذرة ، وبئس ما اخترت لنفسك
من التجارة مع الشيطان عدو الإنسان ، وبإخيبة ! من كانت
تجارته بالذنوب ، وباله حسرة ! لا تنقضي أيد الآباد : ﴿ أَلَمْ
يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ العلق : ١٤ . و ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ آل عمران : ٥ . ومع ذلك لا تمنع
نفسك عن تجارة الذنوب والمعاصي .

ماذا حدث بك ؟ وأين ذهب إيمانك ؟ وأين دفن حياءك ،
أصبحت قاسي القلب ، تعرف أن هذه الدنيا فانية والآخرة
باقية ومع ذلك لا ترجع إلى ربك الذي خلقك ، وصدق الله العظيم
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
قَسْوَةً ﴾ البقرة : ٧٤ .
قال الشاعر :

عمرك بالحمية أفنيته خوفاً من البارد والحرار
كان أولى لك أن تتقى من المعاصي حذر النار
أيها الناس ! ﴿ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ البقرة ٢٨١ .

وإلا فكل ما عمله الإنسان يبيت حسرة عليه عندما يتمنى العودة إلى دار العمل ويقول : ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة : ١٢ .

فأنتى يستجاب لهم ذلك اليوم ، بل يقال لهم من عند ربهم : ﴿الْحَسْبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ المؤمنون : ١٠٨ .

أى امكثوا فيها (أى فى النار) مهانين أذلاء ﴿ولا تكلمون﴾ أى لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي . قاله ابن كثير ٢٥٩/ ٣ .
وعن عبدالله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم إنكم ما كثون ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِندَنَا قَائِمُونَ﴾ .

المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٧ .

قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم : ﴿اخْسَؤْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٥٩/ ٣ .

وذكر ابن كثير فى تفسيره ٣٧٩/ ٢ : قال الحافظ أبو بكر بن عبدالله ابن محمد بن أبى الدنيا رفعه قال : إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زماناً ، ثم بكوا القيح زماناً ، قال : فنقول لهم الخزنة : يامعشر الأشقياء ! تركتم البكاء فى الدار المرحوم فيها أهلها فى الدنيا ، هل تجدون اليوم من تستغيثون به ؟ قال : فيرفعون أصواتهم ، يا أهل الجنة ! يامعشر الآباء والأمهات والأولاد ! خرجنا من القبور عطاشاً ، وكنا طول الموقف عطاشاً ، ونحن اليوم عطاش ، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فيدعون أربعين سنة لا يجيبهم ، ثم يجيبهم ﴿إِلَّكُمْ﴾

ماكثون ﴿ الزخرف : ٧٧ ، فيياسون من كل خير ﴾ انتهى .
يا ويح قلبي ما له لا يلين قد أتعب القراء والواعظين
يانفس ! كم تبيتين من مرة وكم تقولين ولا تفعلين
وكم تنادين ولا تسمعي وكم تقالين فلا ترجعين
حتى متى يانفس ! حتى متى يراك مولاك مع الغافلين
فاستغفري الله لما قد مضى ثم استحيي من خالق العالمين
يانفسي ! كأن الشيطان قد عقد عليك ألف ألف عقدة فلم
تعودي ولم تفكري إلا في شهوتك ، وكأنك لم تخلقي إلا لذلك
وتحقق فيك قول الشاعر :

أترفح بالذنوب وبالمعاصي وتنسى يوم يؤخذ بالنواصي
وتأتي الذنب عمداً لا تبالي ورب العالمين عليك حاصي
فيا نفسي ! تدبري أمرك قبل أن ينقضى أجلك ، لقد ضللت
طريق الهدى ، فقفي هنية واسألني ، ياغمرة من الشقاء ! ما
أراها تنجلي ، واتبعته الهوى ، والهوى عليّ وليس لي ، أريد حياة
نفسية ، ونفسي تريد مقتلي . كما في المدهش لابن الجوزي ص ١٥٠ .
« يانفسي ! إنك إذا أصبحت ، تطلين بالمعاش الشهوات ، وإذا
أمسيت انقلبت إلى فراش الغافلات ، أين أنت من أقوام نصبوا
الآخرة نصب أعينهم ؟ » . المدهش لابن الجوزي ص ١٥٠ .

وذكر الذهبي في الكبائر ص ١٧١ : (موعظة) : عبادالله
تفكروا في سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا في أموركم قبل حلول
قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقران والأخوان
أين من شيد الايوان ؟ رحلوا والله عن الأوطان ، ومزقت في اللحود
تلك الأكفان ، هتف نذيرهم بأهل العرفان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان﴾

تقلبت بهم الأحوال ، ولعب بهم في أيدي الليالي ، وشغلوا عن
الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال ، عانقوا التراب ،
وفارقوا الأموال ، فلو أذن لأحدهم في المقال لقال :

من رأنا فليحدث نفسه إنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهوراً بعيش ناعم أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر يودي بالرجال
اسمعي يا جوهرة هذا المجتمع ! جاءت امرأة إلى عائشة رضي
الله عنها تشكو إليها قسوة قلبها ، فعالجتها بذكر الموت
والآخرة ، فذهبت عنها قسوة قلبها فشكرت لها على ذلك .
وكيف لا ؟ وقد قال ﷺ : « أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت »
رواه الترمذي والنسائي كما في المشكاة باب ما يقال عند من حضره الموت .
فهل من نساءنا اليوم من تشتكي قسوة قلبها وتعالجه ؟ لا
والله ! إلا من رحم الله .

ويا شديد الأسف ! أخواتنا اليوم لا يقترين إلى ذكر الموت
وأحوال الآخرة ، وليس عندهن فرصة إلا لذكر الدنيا ، يضيعن
الساعات كلها في الحديث عن الملابس الحديثة وموديلاتها ،
والمجوهرات الحديثة وغير ذلك من المرغوبات ، ويجدن الوقت
لافشاء النميمة في مجالسهن ، ويضيعن الساعات في فضول
الكلام على التليفونات . ولا يجدن فرصة لتجديد الإيمان بذكر
أحوال الآخرة .

وهؤلاء بنات المسلمين تشبهن في النمط والطرز والملابس

بنساء اليهود والنصارى . وقد قال الله تعالى :

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ .

المائدة : ٨٢

وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

ولو يسرف في هذا الطراز واللباس ٢٢ متراً من القماش بدلا من خمسة أمتار ، وعلى ما أظن تكفن المرأة بهذا القدر - أى ٢٢ متر - من القماش ، لماذا هذا الاسراف والتبذير أيتها النساء ؟ أختي الفاضلة : لو تغطين بهذا القماش - الزائد على الحاجة - جسم الفقيرة البائسة لعل الله عزوجل يكسوك بدله حلة من حلل الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما ورد به الخبر .

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى (أى على حالة عرى أو لأجل عرى) كساه الله من خضر الجنة (أى من ثيابها الخضر) ، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم» رواه أبو داود والترمذي كما في المشكاة باب فضل الصدقة .

والوقت الذي ضيعته في تفصيل هذا الموديل وتجهيزه لو انفقته في الاستغفار والعبادة ، كان من المحتمل أن يكون هذا الوقت سببا لغفرانك ، لأن لله ساعة لا يرد فيها سائلا (باليث قومي يعلمون) .

كما قال سيدنا لقمان الحكيم لابنه : «يابني ! أكثر من قول «رب اغفرلي» فإن لله ساعة لا يرد فيها سائلا» الدر المنثور ٥ / ١٦٢

ولو نسأل أختنا اليوم عن أحدث الموديلات لفصل الصيف

والشتاء لأخبرتنا على القور ولا يفوتها شيء من أزياء الصيف
والشتاء ، ولكن لو سألت إحداهن عن شيء من كتاب الله ، أو
من مسائل الصلاة وأركانها وسننها ، وعن الطريقة المسنونة
والواجبة للغسل ، وعن ماذا قدمت لنفسك بين يدي الله ؟ لما
أجابت ، وما أحسن قول الشاعر باللغة الأردية ما ترجمته :

لو لم ننس القرآن ودرسه ما أصابتنا هذه الذلة التي نعاني
منها، تعلمتم وتعلقتم بكتب الفلسفة والإنجليزية
والمجلات الفاحشة أيها الناس ! ياليت أنكم تعلقتم بالقرآن
وكتب الحديث والعمل بها ، إذاً لحفظنا من الذل والهوان .

وا أسفاه ! يا جوهرة الكون المكنونة ! قد غيرك أعداء الدين
والظالمون لأنفسهم من كيفية إلى كيفية ، ومن حياة طيبة إلى
حياة خبيثة ، ومن معاشرة النبوة الطاهرة إلى معاشرة
الشيطانية السفیهة .

ويأسفني على اختيارك هذه المعاشرة الدنيئة : معاشرة هؤلاء
الأنعام بل هم أضل الذين يبيتون مع كلابهم على فرشهم وعلى
الطرب واللهو وندندنتهم - نعوذ بالله من ذلك - ونسأل الله أن
يرزقنا أن نبيت لربنا سجداً وقياماً ، وعلى سنة الحبيب
المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وقال ابن القيم رحمه الله ونعم ما قال :

بتنا على سنة المصطفى وبتاتوا على دنندنا دنندنا
ويا للأسف ! على من استجابت لهذه المعاشرة ، تلبية
الأعمى الذي يلجمه الشيطان لجام الحمار فيدوره حيث
يشاء من أودية الذنوب والمعاصي .

أختي الفاضلة ! فكري في آية غفلة قيدت نفسك ، كانت لك منزلة سنية ومكانة رفيعة في المعاشرة ، وكان جبريل عليه السلام يبلغ أمك خديجة السلام من الله ، وكان ينزل القرآن من فوق سبع سموات لبيان عفة وطهارة النساء وقد شهد الله بذلك

قائلا : وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نَسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ آل عمران : ٤٢ .

وقال تعالى : وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقِسْمِينَ ﴿١٢﴾ التحريم : ١٢
وكما نزلت العشر الآيات في سورة النور في شأن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب والبهت والفرية التي غار الله لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ فقال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ النور : ١١

وقوله سبحانه في براءتها رضي الله عنها :

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾

﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

النور : ١٦ - ١٧

وشهدت لحياتك سورة القصص أيتها المرأة قال تعالى :

﴿فَاءْتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ الْمَيِّمَةُ﴾

القصص : ٢٥

وأُنزل الله تعالى لك أحكاماً مستقلة في القرآن والسنة ، وزادت ربتك على الزوج ثلاثة أضعاف كما في الحديث المتفق عليه

محمدًا عبده ورسوله» فقالها ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي أنقذه من النار» .

قال ابن حجر في الزواجر ورويت هذه القصة بأبسط من هذا وفيه : «فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة (وهو اسم المبتلى) بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادامت عليه ساخطة» .

وفيه أيضا : فقال - ﷺ - : «يا هؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، وإن رضاها أطلق لسانه» اهد من الزواجر لابن حجر رحمه الله .

وذكر الحافظ الذهبي هذه القصة في كتابه الكباير ص ٤٥ ، وقال في الهامش رقم (١) : في التريغ والترهيب : روى عن عبدالله بن أبي أوفى قال : كنا عند النبي ﷺ فأتاه آت فقال : شاب يجود بنفسه - فذكر قصة نحو هذه القصة التي هنا ، ثم قال : رواه الطبراني وأحمد مختصرا ، وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات بدون تسمية الشاب ، ثم قال : لا يصح - فائد - أي ابن عبدالرحمن العطار - متروك ، قال العقيلي : لا يتابع عليه - وداود يعنى ابن إبراهيم قزوين - كذاب .

ونازعه السيوطي بأن داود لم ينفرد به ، ثم ساقه إلى الخرائطي في مساوي الأخلاق ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والطبراني ، كلها من طريق فائد بن عبدالرحمن العطار عن عبدالله بن أبي أوفى نحوه . اهد من الكباير للذهبي . ما أعظم شأن المرأة لما أنزل الله عزوجل حكم تكريم الوالد والإحسان به ، أوصى الله باحترام الوالدة والإحسان بها سواء بسواء كما قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ الاحقاف ١٥ .

ويقول سبحانه أمراً بعبادته وحده لا شريك له ، وقرن عبادته ببر الوالدين فقال : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾

يَلْفَنَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
 أَبِي وَلَا نَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ
 لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
 صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

اسراء : ٢٣ - ٢٤

روى البزار في مسنده عن سليمان بن بريدة عن أبيه : « أن رجلا
 كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ : هل
 أدبت حقها ؟ قال : لا ولا بزفرة واحدة » التفسير لابن كثير ٢٦/ ٣ .
 وجعل النبي ﷺ الجنة عند رجلبك كما في رواية للإمام
 أحمد عن معاوية بن جاهمة السلمي « أن جاهمة جاء إلى النبي
 ﷺ فقال : يا رسول الله ! أردت الغزو وجئتك أستشرك
 فقال : « فهل لك من أم ؟ » قال : نعم ، قال : « فالزمها فإن الجنة
 عند رجلبيها » ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا
 القول » ورواه النسائي وابن ماجه كما في التفسير لابن كثير ٢٦/ ٣ .

وأنت أيتها المرأة ! انجبت سيد المرسلين وجميع الأنبياء
 عليهم الصلاة والسلام ، وهكذا كل من الأبرار والأتقياء والأصفياء
 والأولياء ماهم إلا أبناءك وثمره فؤادك .

فلو أصبح الرجل سيداً في الجنة ، أصبحت المرأة سيدة
 نساء أهل الجنة .

ألا ! وأنت من ﴿المزید﴾ في قوله تعالى : ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ
 فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ق : ٣٥ .

كما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
 رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل في الجنة ليتكوى في الجنة
 سبعين سنة قبل أن يتحول ، ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه ،

فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة ، وإن أدنى لؤلؤة عليها
تضيء ما بين المشرق والمغرب ، فتسلم عليه ، فيرد السلام ،
فيسألها من أنت ؟ فتقول : أنا من ﴿المزيد﴾ ، وإنه ليكون عليها
سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى
يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان ، إن أدنى
لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» التفسير لابن كثير ٢٣٠ / ٤ .

وروى ابن أبي حاتم كما في التفسير لابن كثير ٤٦٦ / ٤ : عن أبي
أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «إن قمص أهل
الجنة لتبدو من رضوان الله ، وإن السحابة لتمر بهم فتناديم !
يا أهل الجنة ! ماذا تريدون أن أمطرکم ؟ حتى إنها لتمطرهم
الكواعب الأتراب» اهـ . فسبحان من زين الجنة بالكواعب الأتراب .
وفي أول الأمر لما أدخل الله سبحانه أبانا آدم عليه الصلاة والسلام
الجنة ، أدخلك الله الجنة أيتها المرأة معه سواء بسواء ، وذلك قوله
تعالى : **وَبَنَادِمَ أُسْكُنُ أَنْتَ وَرَوْحِكَ الْجَنَّةَ فَمَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**

الاعراف : ١٩

وذكر العيني في عمدة القاري ٨ / ٢١٢ الجزء ١٥ : أن الله تعالى
لما أسكن آدم الجنة ، أقام مدة فاستوحش ، فشكا إلى الله
الوحدة ، فنام فرأى في منامه امرأة حسناء ، ثم انتبه فوجدها
جالسة عنده ، فقال : من أنت ؟ فقالت : حواء ، خلقتني الله
لتسكن إلي ، وأسكن إليك . اهـ من العيني .

وعندما يدخل الناس الجنة مرة ثانية يكون أول من يطرق
باب الجنة ويدخلها من الرجال هو رسول الله ﷺ ، وهكذا
أول من يدخل الجنة من النساء هي فلذة كبده صلى الله عليه وسلم

سيدة نساء أهل الجنة «فاطمة بنت رسول الله ﷺ» .
 كما روى ابن سعد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :
 قال لي النبي ﷺ : «إن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة» .
 قال المؤلف : ويؤخذ ذلك أيضا من الحديث الصحيح الذي رواه
 البخاري : قال النبي ﷺ : «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» .
 كما أن النبي ﷺ أول من يطرق باب الجنة ويدخلها لأنه
 سيد ولد آدم ، هكذا أول من يدخل الجنة من النساء هي سيدة
 نساء أهل الجنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ اهـ .

وعند الحاكم من حديث حذيفة بسند جيد : «أقنى النبي
 ﷺ ملك وقال : إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» فتح الباري ٧ / ١٣٢
 وبأختاه ! وللتغريب فيك وفي الجنة قد ذكرت في القرآن
 الكريم بصفات عديدة ومرات كثيرة .

وكيف لا ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿وَزَوْجَتَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾
 الطور : ٢٠ ، أى وجعلنا لهن قرينات صالحات وزوجات حسنا
 من الحور العين كما في التفسير لابن كثير .

وقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا
 أَثْرَابًا﴾ الواقعة : ٣٥ - ٣٧ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : أى أعدناهن في النشأة الأخرى
 بعدما كن عجائز رمضا ، صرن أبكاراً عرباً أى بعد الثبوت عدن
 أبكاراً عرباً متحبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة اهـ .

وروى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال : صليت ليلة
 ثم جلست أدعو ، وكان البرد شديداً ، فجعلت أدعو بيد واحدة
 فأخذتني عيناى ، فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها ، وهي

تقول : يا أبا سليمان ! أتدعو بيد واحدة ، وأنا أغذي لك في
النعيم منذ خمس مائة سنة ، التفسير لابن كثير ٤ / ٢٩٤ .
وذكر الله سبحانه من صفاتكن - أى صفات نساء الجنة - قائلاً :
﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جِانٌ ﴾
الرحمن : ٥٦ .

وقال سبحانه : ﴿ كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ الرحمن : ٥٨ .
وعددكن أيتها النساء ! أكثر من عدد الرجال في الجنة كما
رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الإمام أحمد عن محمد
ابن سيرين قال : إما تفاخروا وإما تذاكروا ، الرجال أكثر في الجنة
أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم عليه السلام : « إن
أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها
على ضوء كوكب دري في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان
اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب »
راجع التفسير لابن كثير ٤ / ٢٧٩ .

فإذا كان لكل امرئ في الجنة زوجتان اثنتان فعلم من ذلك أن
عدد النساء في الجنة أكثر من عدد الرجال ، فسبحان من زين
الجنة بالنساء .

وقد قال النبي عليه السلام : « ولو اطلعت امرأة من نساء أهل
الجنة إلى الأرض ، لمألت ما بينهما ريحاً ، ولطاب ما بينهما ،
ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » رواه البخاري كما في
التفسير لابن كثير ٤ / ٢٧٩ .

إهذه صفة نصيف المرأة في الجنة ، فما بالك في
صاحبة هذا النصيف وحسنها .

أختي الفاضلة : فإذا ذكر الله سبحانه الرجال في كتابه بلفظ
المسلمين ذكرك بلفظ المسلمات وهكذا المؤمنين والمؤمنات

والقانتين والقانتات إلى آخر الآية ، وكما أعد الله تعالى للرجال مغفرة وأجرا عظيما هكذا أعد الله تعالى للنساء وتصديق ذلك في قوله تعالى :

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا

وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا الأحزاب : ٣٥

فالواجب عليكم أيتها النساء ! أن تحتفظن بالصفات التي ذكر الله تعالى في شأنكن وتطبقن ذلك على أنفسكن .

تفكري أيتها الأخت ! كيف يهتم الرحمن ويذكر النساء في القرآن في مواضع كثيرة كى لا يتحسرن على عدم ذكرهن فيه .

وهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تقول : قلت للنبي ﷺ : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال ؟ قالت : فلم ير عني منه ذات يوم إلا ونداءه على المنبر ، قالت : وأنا أسرح شعري ، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرتي حجرة بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر : «يا أيها الناس ! إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ إلى آخر الآية . رواه الإمام أحمد والنسائي وابن جرير كما في التفسير لابن كثير ٤٨٨/ ٣ .

فكري ! ما يكون شأن فرحة السيدة أم سلمة رضي الله عنها حينما أنزل القرآن على أمّنتها ، وهذه الفرحة لا يفهمها غيرها وصدق من قال : «من لم يذق لم يدر» .

وهذا أبي بن كعب رضي الله عنه لما قال له النبي ﷺ : «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» ﴿لَمْ يَكُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال : وسماني ؟ قال : نعم ، فبكى» رواه البخاري في مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه .

وفي رواية للطبراني عن أبي بن كعب قال : «نعم باسمك ونسبك في الملاء الأعلى» ذكره الحافظ في الفتح ٧ / ١٥٩ .

وفي رواية لأحمد : فقال النبي ﷺ لأبي : إن جبريل أمرني أن أقرأك هذه السورة ، قال أبي : وقد ذكرت ثم يارسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فبكى أبي» رضي الله عنه كما في التفسير لابن كثير ٤ / ٥٣٧ . قال القرطبي تعجب أبي من ذلك لأن تسمية الله له ونصه عليه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف عظيم ، فلذلك بكى إما فرحاً وإما سروراً . ذكره الحافظ في الفتح ٧ / ١٥٩ .

قال الراقم : عسى أن يكون سبب بكاء سيدنا أبي رضي الله عنه بأنه فكر في نفسه : ياربي ! ما كنت متأهلاً لهذا الشرف والتعظيم بأن تسميني باسمي ونسبي عندك في الملاء الأعلى وتأمّر نبيك أن يقرأ عليّ من كتابك شيئاً ، فشارت المحبة بهذا التفكر فبدأ يتضرع ويبكى استجابةً لوجدان الفرح والسرور . انتهى قول الراقم .

أختي الفاضلة : فإذا سمى الله سبحانه أحداً من الرجال من فوق سبع سماوات قائلاً : ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مريم : ٧ .

كذلك سمي الله سبحانه من فوق سبع سماوات السيدة مريم من النساء قائلا : ﴿وإني سميتها مريم﴾ آل عمران : ٣٦
أختي المسلمة ! يكفي لشرفك بأن الله سبحانه ذكرك في القرآن الكريم بلسانه المبارك قائلا : إن المُسلمينَ والمُسلماتِ والمُؤمنينَ والمُؤمناتِ ﴿ إلى آخر الآية المذكورة .

لذا نرجو منك أن تعودِي إلى شرفك الأعلى ومقامك الأسنى مقام المؤمنات القانتات التابيات الصابرات الخاشعات والحافظات لفروجهن والذاكرات الله كثيرا ، وابتعدِي من حب الدنيا وشهواتها والخوض فيها واستعدي للأخرة التي تسكنين فيها إلى الأبد ، ثم يذبح الموت ولا يموت أحد على الأبد بعد ذلك ويدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

وتصدق ذلك في الحديث المتفق عليه كما في المشكاة باب الحوض والشفاعة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «إذا صار أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى منادٍ : يا أهل الجنة ! لا موت ، ويا أهل النار ! لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم» .

لذا أيتها الأخت : عليك أن تشغلي نفسك ووقتك في طلب مرضاة الله أكثر من شغلك بأمر الدنيا الفانية أو مثلها أو نصفها أو ثلثها أو انقصي منها أو زيدي عليه وفقك الله وإيائي آمين يارب العالمين .

فانظري إلى رسول الله ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان دائما مشغولا بطاعة الله وكان يذكر الله على

كل أحيانه ، مع ذلك يأمره سبحانه : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾
الشرح : ٧ - ٨

فما بالك أيها المرأة ! في نفسك التي امتلئت من الذنوب
والخطايا ؟ أما تحتاج هذه النفس إلى الرغبة في الله بعد
فراغها من أمور الدنيا لترضى ربها ؟ وأليست منكن امرأة
رشيدة تنفق أوقاتها في مرضاة الله ؟

واعلمي يا أختي ! أن في البستان أزهاراً متنوعة ، وكل زهر فيه
يختلف عن أخيه في الرائحة واللون والشكل ، ولكن العنديل لو
تحب حباً سماًقاً وتفدي بنفسها على الورد وأوراقه فقط ، فليس
معناه أن الأزهار الأخرى في البستان ليست بأزهار قط .

أختي العزيزة ! وهكذا إن أفديت بنفسك وقصرتها على أزهار
الدنيا الدنيئة وزخرفها فقط ، وما شممت رائحة أزهار الآخرة
المتفتحة ، فماذا يكون جوابك أمام المولى جل وعلا يوم تجد كل
نفس ما عملته حاضرا .

استمعي إلى قول الشاعر ما ترجمته :

يقول الشاعر : لا تمدن عينيك إلى هذه الدنيا الدنيئة فإنها
فانية وزائلة لا محالة ، وعليك بطاعة الله على كل حال وفي كل
لحظة ونفس ، فإن طاعة الله هي حياة القلوب وبهاؤها ، ومثل
القلوب الخالية من ذكر الله وطاعته كالقصور الخاوية على عروشها .

فالبيت الذي ليس فيه صاحبه لو نزل فيه ضيف لا يتمتع
فيه بالضيافة المطلوبة ، ولا لذة له فيه بقيامه غير أنه يضيق
عليه البيت بما رحب ، فإذا ورد صاحب البيت فيه برقت
أسارير وجه الضيف والمضيف معا ، فيفرحان بالكلام فيما

بينهما ويضحكان ويمجدان اللذة والحلاوة في نفسيهما عندئذ .
فكذلك القلب الذي امتلأ من الدنيا وزخرفها وليس فيه
صاحبه - هو ربنا الرحمن - أى لا حب لله فيه والعمل للآخرة ،
فلا بهاء فيه ولا حياة ولا لذة فيه ولا حلاوة ، وإذا دخل فيه
صاحبه ونزل أى حبه جل وعلا ، برقت أسارير وجهه المطيع وتنور
وجهه وتألأ ، وتطلع منه أنوار ساطعات تسر الناظرين ، وعسى
أن يحشر هذا المطيع والذاكر مع هؤلاء الذين قال الله تعالى في
شأنهم : ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ الآية من سورة
الفتح : ٢٩ .

ومع الذين قال تعالى في شأنهم : ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
الحديد : ١٢

لذا يحرض الشاعر ويقول : انزلوا واحلوا مولاكم جل وعلا في
قلوبكم ، واجتنبوا الدنيا وزخرفها واخوض فيها لأنها ملعونة
وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه .

اعلمي يا أختاه ! أن الدنيا لا تدم لذاتها ، وكيف يدم ما من
الله به على عباده ، وما هو ضرورة في بقاء الآدمي ، وسبب في
إعاقته في تحصيل العلوم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس
ومسجد يصلى فيه ، هذا هو معنى قوله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ : «ألا ! إن الدنيا
ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم أو متعلم» .
رواه الترمذي وابن ماجه كما في المشكاة كتاب الرقاق .

وإنما المذموم أخذ الشيء من غير حله ، أو تناوله على وجه
السرف لا على مقدار الحاجة ، فالعاقل يجعلها ذخيرة للآخرة

فينفقها في سبيل الله في المشاريع الدينية من طباعة مصاحف
وكتب إسلامية وعمارة مساجد وبذل للفقراء الذين لا موارد لهم .
قال بعضهم : الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك لأن
مامضى عنك فقد فاتك إدراكه ، وما لم يأت فلا علم لك به ،
والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى
على الإنسان بالتغيير والنقصان ، والدهر موكل بتشتيت
الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول ، والأمل طويل والعمر
قصير وإلى الله تصير الأمور .

أما عمرك فكل يوم يُنتهب ، أما المُعظم منه قد تولى
وذهب ، إلى أي حين أنت في جمع الورق والذهب ، تبخل بالمال
وأوقات العمر تهب ، يامن إذا خلا تفكر وحسب ، فأما لنزول
الموت فما قَدَّر وحسب .

تأهب فإنك مقبل على كُربة لا كالكُرب ، تطلب النجاة من
غير باب الطلب ، وتقف في الصلاة وإن صلاتك لعجب ،
الجسم حاضر والقلب في شعب ، الجسد بالعراق والقلب في
حلب ، الفهم أعجمي واللفظ لفظ العرب ، وهذا يدل على أن
حبَّ الدنيا والهوى على قلبك قد غلب .

فكانكم بالدنيا قد تولت ، وبالنفوس الكريمة قد هانت وذلت ،
ويكؤوس الأسي والتأسف قد أنهلت وعلت .

متى يقال لهذه الغمرة التي جلت قد تجلَّت فوا عجباً !
لنفس ما تنتبه وقد زلت .

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : اللهم إنني أعوذ بك من تفرقة
القلب، قيل : وما تفرقة القلب ؟ قال : أن يوضع لي في كل واد مال .

وقال سفيان الثوري : بلغني أنه يأتي على الناس زمان تمتلئ
قلوبهم في ذلك الزمان من حبِّ الدنيا فلا تدخله الخشية .
وعن مجاهد قال : مررت مع ابن عمر رضي الله عنهما على خربة
فقال : يا مجاهد ! ناد : يا خربة ما فعل أهلك ؟ أين أهلك ؟ قال
فناديت ! فقال ابن عمر : ذهبوا وبقيت أعمالهم .
وعن الحسن قال : مرَّ عمر رضي الله عنه على مزلة ، فاحتبس
عندها فكأنَّ أصحابه تأذوا بها فقال : هذه دنياكم التي
تحرصون عليها .

واعلم أن أهل القبور إنما يفرحون بما يقدّمون ، ويندمون
على ما يخلفون ، وأهل الدنيا يقتتلون ويتنافسون فيما عليه
أهل القبور يندمون .

وقال مالك بن دينار : إن الله جعل الدنيا دار مفر ، والآخرة
دار مقر ، فخذوا لمقركم من مفركم ، وأخرجوا الدنيا من
قلوبكم قبل أن تخرجوا منها بأبدانكم ، ولا تهتكوا أستاذكم
عند من يعلم أسراركم ، ففي الدنيا حَيِّتُمْ ولغيرها خُلِقْتُمْ ،
إنما مثل الدنيا كالسُّم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه .
ومثل الدنيا مثل الحية مسُّها لِيَن وفي جوفها السُّمُّ القاتل ،
يخزرها ذوو العقول ، ويهوى إليها الصبيان بأيديهم .

وعن جابر الجعفي قال قال لي محمد بن علي بن الحسين :
يا جابر ! إنني لمحزون ، وإنني لمشتغل القلب ، قلت : وما
حزنك ؟ وما شغلك ؟

قال : يا جابر ! إنه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغله
عما سواه .

يا جابر ! ما الدنيا ماعسى أن تكون هل هو إلا مركب ركبته
أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها .

يا جابر ! إن المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم
يأمنوا قدوم الآخرة عليهم .

ولم يُصمّمهم عن ذكر الله ما سمعوا بأذانهم من الفتنة ، ولم
يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ، ففازوا
بشواب الأبرار .

إن أهل التقوى أيسرُ أهل الدنيا مؤونة ، وأكثرهم لك معونة
إن نسيّت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق ، وقوامين
بأمر الله فأنزل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه .

أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك منه
شيء واحفظ الله تعالى ما استرعاك من دينه وحكمته .

وقال بعضهم : فكّر في ذنبك ، وتب إلى ربك ينبت الورع في
قلبك ، واقطع الطمع إلا من ربك ، ذمّ مولانا الدنيا فمدحناها ،
وأبغضها فأحببناها ، وزهدنا فيها فأثرتناها ، ورغبنا في
طلبها ، دعتمكم إلى هذه الغرارة دواعيها فأجبتكم مسرعين
مناديها ، خدعتكم بغرورها تتمرغون في زهراتها وزخارفها ،
قال الله تعالى : ﴿فَلَا تُغْرِبْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فاطر : ٥

هذه هي دنيانا أيتها الأخوات ! تزودي للآخرة في أول فرصة
لأن وقت الموت لا يتقدم ولا يتأخر ، وعزرائيل عليه السلام لن يعبأ
بأحد ، ولا يقبل رشوة ، ولا شفاعة ، ولا يؤخر وقت الموت لأحد
بسبب البكاء والنياحة ، ولا يمهل عريسا ولا عروسا ، لا شابا ولا
شابة ، لا ابنا ولا ابنة ، لا أخا ولا أختا ، لا أبا ولا أما ، من كانوا

وحيث كانوا . فلذلك ينبه الشاعر ويقول :
ترود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
لاحظوا خبر الجريدة لتصديق هذا الشيء في الصحيفة الآتية .

وهذه ترجمة نبأ الجريدة

توفي خمسة أفراد مع العروسة - وكانت متزينة لزوجها -
العريس وزميله مجروح حيث انقلبت السيارة في الحادث

قد حدث الاصطدام المهيب بين السيارة والأتوبيس
حيث توفي خمسة أفراد مع العروس ، وأصيب
العريس وزميله بجروح شديدة ، والقَتلى غير العروس
يقربون لأبي العريس عبدالرزاق - رئيس المجلس البلدي -
وزوجته وابنته والسيدة القادمة مع العروس .
وقعت هذه الحادثة الأليمة الساعة ٢ ظهرا على
شارع ميانوالي .

وفقا لتفاصيل هذا الحادث أن السيد / عبدالرزاق
كان قادما بعد زواج ابنه إلى بيته فوق الاصطدام بين
السيارة والأتوبيس القادمة من كراتشي إلى إسلام آباد
والتي كانت تسير بسرعة جنونية وانقلبت السيارة
بعد الاصطدام ووقعت بعيدا عن الشارع مع
راكبيها ، وتوفي خمسة أفراد مع العروس المتزينة
الحديثة ، وادخل العريس وزميله في المستشفى في حالة
شديدة الخطر . اهـ ترجمة الخبر الجريدة .

صورة خبر الجريدة

بس کی ٹکر سے کار میں سوار دلہن سمیت پانچ افراد جاں بحق

دولہا اور اس کا دوست شدید زخمی بس کی ٹکر سے کار تالا بائیاں کھاتے ہوئے دور جاگری

منگفر آباد (نامہ نگار) باراتبوں کی کار اور مسافر بس کے درمیان ہولناک تصادم کے نتیجے میں دلہن سمیت پانچ افراد جاں بحق اور دولہا اور اس کا دوست شدید زخمی ہو گئے۔ انہیں سرور شہید ہسپتال میں طبی امداد دی جا رہی ہے۔ ہانک ہونے والوں میں دلہن کے علاوہ دولہا کا باپ عبدالرزاق چیرمین پوینا کو نسل بک نمبر 518 ڈی اے ان کی اہلیہ ایک بیٹی اور دلہن کے ساتھ آنے والی ایک خاتون شاس ہیں۔ یہ افسوسناک حادثہ سہ پہر تین بجے میانوالی روڈ پر اڑھ محمد والا کے قریب پیش آیا۔ تفصیلات کے مطابق عبدالرزاق اپنے بیٹے کی شادی کر کے بارات لے کر واپس گھر چک نمبر 518 آرہا تھا کہ اڑھ محمد والا کے نزدیک کراچی سے پنڈی جانے والی ایک مسافر بس بے قابو ہو کر کار سے ٹکرائی جس کے نتیجے میں کار تالا بائیں کھلتی ہوئی دور جاگری اور نئی نویلی دلہن اور دیگر چار افراد جاں بحق ہو گئے۔ دولہا اور اس کے دوست کو شدید زخمی حالت میں ہسپتال داخل کروایا گیا ہے پولیس نے مقدمہ درج کر لیا ہے جبکہ بس کا ڈرائیور فرار ہونے میں کامیاب ہو گیا ہے پولیس نے زیر دفعہ 320 قصاص و دیت مقدمہ درج کر کے بس قبضہ میں لے لی ہے۔ حادثہ کی اطلاع ملتے ہی ڈپٹی کمشنر مسز شاہد انڈیک اور ایس بی چودھری گل اصغر فوری طور پر جائے حادثہ پر پہنچ گئے۔ آخری اطلاعات کے مطابق لاشیں پوسٹ مارٹم کے بعد ورناء کے حوالے کر دی گئی ہیں۔

نعم أحتي العريضة ! هذه هي الحياة التي نفتخر بها ، ونرسم لها الخطط الطويلة ، ألا وهي حباب الماء الذي يغيب بتيار الهواء الخفيف . وصدق الله العظيم :

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ،
بِنَبَاتٍ الْأَرْضِ وَمِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا رَبَّ عَلَيْهَا
أَتَيْنَاهَا أَمْرًا نَائِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَمْ

بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ يونس : ٢٤

وما أحسن موقع تشبيه العروسة بنبات الأرض التي أخذت زخرفها وزينتها الفانية وحسنت بما خرج في رباهها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ، كذلك العروسة إذا زينت نفسها بمختلفة الألوان من أدوات التجميل ، وكادت أن تتفوض إلى أحب أهلها إليها من العريس ، وهو يظن أنه قادر عليها والانتفاع بها ، فأتاها أمر الله ، أي عاصفة الموت الشديدة بشكل الاصطدام ، فجعلها كأنها ما كانت حيناً قبل ذلك ، حتى لا يرغب فيها العريس وغيره ، بل صار يخاف منها ويبعد نفسه عنها ، وهكذا أمور الدنيا كلها وأهلها بعد زوالها كأنها لم تكن بالأمس ، فاعتبروا يا أولى الألباب .

وقال الشاعر باللغة الأردية وهذه ترجمته :

يقول : وما هو جسم المرأة والرجل الذي يعشقه جميع

بني آدم ؟ .

ثم يقول : وما هذا إلا منزل وعمارة قد بناها الله بالطين

والتراب

وضع الله الدم المتجمد في جسم الإنسان بدل الطين ،
والعظام فيه بدل الطوب واللين .

وهذا الفلك الوهمي (أى جسم الإنسان) قائم على بضعة
جُذُر من الأنفاس .

فلما تهب عاصفة الموت الهوجاء وتصدم بهذه العمارة
فتدمرها وتهدمها وتكسرهما ، فتعود هذه العمارة طينا وترابا
مرة ثانية ، ويرجع كل شيء من جسده إلى أصله : فالعنصر
الترابي في التراب ، والمائي في الماء ، والهوائي في الهواء والناري في النار
انتهى ترجمة قول الشاعر .

وهذه تكملة من الأبيات العربية السابقة يقول الشاعر :

وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صِغار يرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر
أختي الفاضلة ! هل هذه الأمور كلها ليست بحقيقة
واضحة ، أما تتمنين أن فلذة كبدك هذا الولد لما يبلغ أشده
سيكون الدكتور أو المهندس أو الطيار أو الأمير أو الرئيس أو
الوزير ، ولكنه قد كتب القدر أن هذا الزهر والورد بألوانه وثمره
فؤادك قبل أن ترين زخرفه وزينته وبهائه ورونقه وشبابه يقبضه
ملك الموت وتدفنونه بأيديكم وتتركونه في ظلام القبر وحيداً ،
فصير كل الخطط الطويلة المرسومة في الأذهان هباءً منثوراً .

أختي العزيزة ! هل لا تعرض هذه الحوادث المذكورة في بيوتنا
اليوم ؟ فأين الاعتبار من هذه الأحوال والحوادث ؟ وهل قمنا
وبذلنا الجهد بعد وقوعها في بيوتنا لنرضى ربنا سبحانه

الساخط الغضبان علينا بكثرة ذنوبنا وغفلتنا عن دينه الإسلام
أو نعيش على ما هوننا ونتبع الشهوات إلى الآن ؟ وصدق الله

العظيم : أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾

مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ

يَلْمِزُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ
الآية . الأنبياء : ١ - ٣ .

فهل إلى خروج من سبيل أيتها الأخوات ! من هذه الشهوات
الفانية والغفلة والاعراض ومن اللهو واللعب ؟ .

قيل للإمام الشافعي رحمه الله : « ما لك تدمن إمساك العصي
ولست بضعيف ؟ قال : لأذكر أنني مسافر من الدنيا إلى الآخرة .

يحب الإمام رحمه الله أن يذكر الموت على كل خطوة ليكسر
شهواته الدنيا ويرغب فيما عند الله أكثر فأكثر .

واسمعي يا أمة الله ! هذه القصة العجيبة التي حكاها الشيخ
يزيد الرقاشي رحمه الله ، فإن فيها عظة وعبرة .

يقول : دخلت على عابد ، وإذا أهل بيته حوله ، وهو في
سكرات الموت ، وفي اللحظات الأخيرة قال : فبكى أبوه ،
فسأله لماذا تبكى ؟ فقال : يا بني ! أبكي ففقدك ، وما أرى
من جهدك .

فبكت أمه ، فقال : أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة ! ما الذي
يبكيك ؟ قالت : يا بني ! أبكي لفراقك ، وما أتعجل من
الوحشة بعدك .

قال : فبكى أهله وصبياناه ، ونظر إليهم ثم قال : ما الذي
يبكيكم ؟ قالوا : يا أبانا ! نبكي فراقك ، وما نتعجل من
اليتيم بعدك ، ولمن نخاطب بقولنا : يا أبانا ! بعد اليوم ، ومن

الذي يوفر لنا حاجتنا بعدك ؟ وإلى من نشكو بعد ضرب
الأطفال لنا ؟ ومن يقوم إلى مساعدتنا أمام هؤلاء ؟
وقالت زوجته : يا بعلي الكريم ! كيف أعيش في هذه
الغرف الجميلة بعدك منفردة وقد كنت أنتظر طول النهار
وقد كنت أقول في نفسي : سيجيء بعد قليل إن شاء الله ،
وسجىء بعد قليل وجاء والله وقد كنت أقضي وقت
الانتظار في هذه التفكرات والخيال وتتعب نفسي في انتظارك ،
ولما كنت تدخل البيت وتنزله يزول كل التعب والنصب ، فالآن
أيها الزوج ! وسند حياتي ! حان وقت الفراق ، ستذهب إلى واد
لا ترجع منه إلى البيت أبداً ، وسيصبح هذا التعب والنصب
والبكاء والفراق رفقاى بعدك طول حياتي ، وأتفكر مع من
أجلس في الخلوة ومن أفتخر به وأقول : بأن هذا هو زوجي
الكريم وتاج رأسي .

قال : فقال العابد : أقعدوني أقعدوني ، ثم قال : أرى كلكم
يبكي لدياي ، أما فيكم من يبكي لآحرقى ؟ أما فيكم من
يبكي لما يلقاه في التراب وجهي ؟ أما فيكم من يبكي
لمسألة منكر ونكير إياي ؟ أما فيكم من يبكي لوقوفى بين
يدي ربي جل وعلا ؟ ثم خر صريعا وذاق الموت . اه .
أختى الفاضلة ! اسمعي جيداً ماتفعل بك الدنيا بعد يوم
الدفن والكفن .

واعلمي ! أن الدنيا ستخرج اسمك من فهرس الأحياء ،
وتسجله في فهرس الأموات .
وينساك الأصدقاء والأقرباء إلى الأبد بعد البكاء على موتك
بضعة أيام .

تبكى أمك وأبوك على موتك بضعة أيام ثم يئأس كل واحد
منهما ويسكت وينسأ

يحزن زوجك عدة أيام فتشغله الأحوال والأشغال الجديدة ،
وعسى أن يتزوج بامرأة ثانية صالحة وقانئة بعد موتك يلعب
معها وتلعب معه ، وتعينه على الإيمان وعلى الأعمال الصالحة .
يذكرك الأولاد والأطفال وقلدة كبدك كثيرا ، ثم بعد عدة أيام
تنطمس صورتك ونقشك من أذهانهم شيئا فشيئا .

وتصير عاصفة الرياح والأمطار تذهب بارتفاع قبرك كما
هي عادتها ، وتسوى به الأرض فتكوني نسيا منسيا حتى
تمحو هذه الرياح والأمطار علامة قبرك الظاهرة من وجه الأرض .
وبعد مضي نصف القرن يصعب التأكد من نفسك وقبرك
هل كنت في الدنيا موجودة أم لا ؟

عن محمد بن كعب القرظي قال : دخلت على عمر بن
عبد العزيز رحمه الله في مرضه الذي مات فيه ، فجعلت أحد
النظر عليه فقال : يا ابن كعب ! ما لك تحدد النظر إليّ ؟
قلت : لما نحل من جسمك وتغير من لونك ، قال : فكيف
لو رأيتني بعد ثلاث في قبري ، وقد سألت حدقتاي على
وجنتي ، وابتدر فمي وأنفي صديداً ودوداً ، كنت أشد
لي نكرة . اه اعتبروا يا أولي الألباب .

فالبدار البدار أيتها الأخوات والأمهات ! في الرجوع إلى الله
قبل أن ترجعين إلى الله ، وإلى هذه الحالة المذكورة .

واعلمي ! أن هذه الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة ، كوني من
أحباء الآخرة لا من أحباء الدنيا ، اليوم يوم عمل ولا حساب ،
وسيكون الغد يوم حساب ولا عمل ، فاعلمي ما يحب ربك ويرضى .

وهذا يومك الدفن والكفن يا أختاه

فإذا تغضبين على ذلك ، فيومي الدفن والكفن

أختي العزيزة ! هل تفكرين أن الموت سهل ، وأن سكراته يسيرة ، هذا نبي الله ﷺ حينما حضرته الوفاة كان يغشى عليه ﷺ ثم يفيق فيقول : «إن للموت لسكرات ، اللهم أعني على سكرات الموت» رواه البخاري .

وروى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها وفيه : «..... وبين يديه ركوة (أناء من جلد) فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : «لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات (أى شدائد ومشقات) ثم نصب يده فجعل يقول : «في الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده» ﷺ .

وفي رواية للإمام أحمد عن عبدالله بن عبدالله قال : دخلت على عائشة فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ ؟ فقالت : بلى ، ثقل رسول الله ﷺ وجعه فقال : «أصلى الناس؟» قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، فقال : ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا ، قالت : فاغتسل ثم ذهب لينوء (أى لينهض) فأغمي عليه ثم أفاق فقال : «أصلى الناس؟ قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ! فقال : «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال : «أصلى الناس؟» قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ! قال : «ضعوا لي ماء في المخضب» ففعلنا ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال : «أصلى الناس؟» قلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ! قالت : والناس عكوف في المسجد

ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الحديث . كما في البداية ٢٣٣/ ٥ ، وأخرجه البيهقي : ١٥١/ ٨ كما في الكنز ٥٩/ ٤ .
 تفكري يا أختاه ! ما هذا الشيء الذي بسببه يغتمس النبي ﷺ مراراً ؟
 أما هذه سكرات الموت ؟ اللهم إنا نعوذ بك من سكرات الموت آمين .
 وعلم من هذا الحديث المذكور أن للصلاة أهمية بالغة عند النبي ﷺ ورفعة مكانتها في الإسلام ، والصلاة هي التي سأل رسول الله ﷺ عنها مراراً في مرضه الذي توفي فيها ، وأين نحن من أداء حق الصلاة والخشوع فيها .

وها أنت على فراش الموت يا أختاه!

تفكري ماذا تفعلين حينما يكون فراشك هذا آخر الفراش من فراش الدنيا ، ثم بعد ذلك لا تجددين أي فراش ولا وسادة ولا غرف نوم الحديثة الأمريكية وغيرها ، ستقوم عائلتك حولك آنذاك ، وتبكي والدتك وأخواتك وصديقاتك الغاليات ، وتصيح بناتك وأبناؤك الذين كنت لا تتحملين صعوبتهم وشدتهم ، وكنت تبكين حين يكون ، وتصيحين حين يصيحون ، فالיום كلهم يبكون على حالتك هذه ، وأنت غير قادرة على التكلم معهم إلا بالإشارة ، وتنظرين إليهم بعين الاستغاثة الملهوفة ، وهذا زوجك الذي كان سندك الوحيد في حياتك الظاهرة ، وكنت تفتخرين به وتفدين بنفسك عليه ، فاليوم لا يستطيع أحد منهم أن يحميك من سهم الموت ، ولا يقدر أحدهم أن

يرجع روحك إلى جسدك بعد خروجها منه ، وذلك قوله سبحانه :

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُوكُمُ **(٨٧)** وَأُنْتُمْ جُنُودٌ تَنْظُرُونَ **(٨٨)** وَتَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ **(٨٩)** فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ

(٩٠) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ **(٩١)** الواقعة : ٨٣ - ٨٧

وقال تعالى : ﴿ قُلْ فَأَدْرَأُ وَأَعْنِ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ **(٩٢)** ﴾

آل عمران : ١٦٨

والآن لا يؤثر على أحد منهم بكاؤك وأينك وشكايتك لشدة
سكرات الموت وأهوالها .

وبينما أنت على تلك الحال إذا تمر أمام عينيك لحظات
عمرك الغالي ، تمر عليك أيام الصبا ، تتذكرين ما مضى من
الأيام ومن الليالي ، كيف قد مضت ؟ وكيف قد انقضت ؟
وكيف قد تولت ومضت وانتهت بسرعة ، كل شيء قد انتهى ،
وها أنت على شفا هذه الدنيا في انقطاع منها ، وأقبال من
الآخرة ، فالله سبحانه وتعالى يصف لنا هذه الحال ويقول :

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ **(٩٣)** وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ

يَوْمَ الرُّعُودِ **(٩٤)** وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ **(٩٥)** لَقَدْ

كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكُنْ فَنَاعَكَ غَطَاءُكَ فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ

(٩٦) وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْدِي **(٩٧)** أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلٌّ كِفَارٍ

عَيْدِي **(٩٨)** مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ **(٩٩)** الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

مَآخِرًا فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ **(١٠٠)** ﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتَهُ

وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ **(١٠١)** قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ

إِلَيْكُمْ بِالرُّعُودِ **(١٠٢)** مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيْهِ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لَكَ لَعِيدٍ **(١٠٣)**

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٢٥﴾ وَأَرْزَقْتِ

الْجَنَّةَ الْمُتَّقِينَ غَيْرِ مَبْدُودٍ ﴿٢٦﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ

﴿٢٧﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٧﴾ ادْخُلُوهَا

بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٢٨﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ق : ١٩ - ٣٥

وبينما أنت على تلك الحال إذ جاء ملك الموت ، لا تدرين ماتفعلين ، أما العقل فقد أصابته وشوشة ، وأما القلب فقد أصابه الإضطراب وبدأ يرحف ، وأما القدمان فقد بردتا ، والملك يبدأ في نزع تلك الروح الذي قال الله تعالى عنه : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ النازعات : ١ ، أى الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تأخذ روحه بسهولة ، وكأنما حلتها من نشاط ، ومنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها كما في التفسير لابن كثير ، وهذا كما قال تعالى : فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرُوهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ . محمد : ٢٧

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية المذكورة : أى كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الأرواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ الأنفال : ٥٠ ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ الأنعام : ٩٣ ، أى بالضرب ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ سورة الأنعام : ٩٣ . انتهى ما ذكره ابن كثير ٤ / ١٨١ .

وقيل : إن سكرات الموت أشد من الطرق بالمطارق ، وأشد من

الجلد بالسياط ، بل وأشد من النشر بالمنشر ، وكيف لا إذا كانت الروح هي ذات المضروب ، وهي ذات المنزوع .

وبينما أنت على تلك الحال إذ نزعتم روحك من جسديك ، وغدوت جثة هامدة ، وفارقت الروح الجسد ، وجعل الناس يقولون :

﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ، ويقول القائل : ماتت ابنتي ، ماتت

زوجتي ، ماتت أمي ، وبدأ الأقارب والصدقات يكون ، وبعضهم

يفرح ويقول : الحمد لله الذي أنجانا من هذا الظالم أو الظالمة

قد استراح منه العباد والبلاد والدواب ، حسناتك وسيئاتك

يتردد على ألسنة الناس ، وتكون أقوال الناس هذه شهادة لك أو

شهادة عليك كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أنس

رضي الله عنه قال : «مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً ، فقال النبي

ﷺ : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً ، فقال :

وجبت ، فقال عمر : ما وجبت ؟ فقال : هذا أثنتم عليه خيراً

فوجب له الجنة ، وهذا أثنتم عليه شراً فوجب له النار ،

أنتم شهداء الله في الأرض» متفق عليه .

وفي رواية : «المؤمنون شهداء الله في الأرض» .

ففكري يا أختي ! ماذا يقول الناس فيك بعد الموت ، وماذا

تجب لك من عند الله سبحانه الجنة أو النار ؟

وهذا وقتك الغسل بعد الموت

وكيف بك يا أمة الله ! إذاما وسدوك على الألواح ، وصاروا

يغسلونك ، وكنت قبل ذلك تغتسلين ، ها أنت في ذلك اليوم

تُغسلين ، وقبل ذلك جعلت إحداهن تنزع عنك الأسورة
والخواتم والمرط والحلقات ، وهكذا بدأت إحداهن تنزع عنك
ساعتك النادرة والثياب وكل ما يكون من أشياء الدنيا على جسدك .
ويا نازعة الثياب والأسورة والخواتم والحلقات من أختك
الموضوعة المصرعة على الألواح انتبهي ! وتذكري : سيأتيك هذا
اليوم ستنزِع عنك كل ما تنزعي أنت من جسد أختك هذه
المصرعة الميتة .

وهناك خياط جعل يجهز لك الزي النادر ذات موديل الأموات
ببضعة أمتار من قماش أبيض يدعى الكفن ، مالبستيه في
حياتك قط مثل هذا الموديل ، ثم يكفنونك وتدرجين فيها
إدراجاً ، وكنت قبل ذلك تلبسين ثيابك بنفسك ، فأين الزي
الحديث الذي اشتريته قبل عدة أيام بآلاف من الريالات ليكون
زينة جسدك ويسر الناظرين ، والذي طفت لأجله الأسواق ومحلات
الأزياء الحديثة ، فالיום صارت هذه الموديلات الحديثة كلها زينة
الشنط والدواليب ، أو يلبسها أخواتك بعد اليوم .

ثم يكرمونك يأمة الله ! أتدرين بماذا ؟ ببضعة مسحات من
الحنوت ، ثم بعد الغسل والكفن ومسح الحانوت ستوضعين في
مكان فسيح للرؤية الأخيرة ، يلقي الناس عليك النظرة الأخيرة
التي لا نظرة بعدها ويودعونك الوداع الأخير بالبكاء والصيحة
والفراق النهائي .

ياترى ! ماهو حال أمك في ذلك اليوم التي حملتك في
بطنها تسعة أشهر ، وتعبت في سبيل تربيتك أياماً وليالي
طوالاً - مآدري هل ربتك أمك بتربية إسلامية أو بتربية يهودية
ونصرانية ؟ - .

الخياط يخييط الكفن



أختاه ! هذا الكفن الذي يجهزه الخياط ، هو نوع من الطراز واللباس الذي تلبسينه أنت وأخواتك يوماً من الأيام ، فعلياً أن لا تنسى هذا الطراز ذات موديل الأموات ، وقد قال تعالى : ﴿ فلا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ القصص : ٧٧ . قال صاحب التفسير القرطبي ٧ / ٢٠٨ : وقيل : أراد بنصيبه الكفن كأنهم قالوا : لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك هذا الذي هو الكفن - لو تيسر لك - ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كلُّه رداءً إن تلوَّى فيهما وحنوطٌ
وقال آخر :

وهي القناعة لا تبغي بها بدلاً فيها العيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

وقد قال ﷺ : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة هل تحسون فيها جدهاء » . رواه البخاري في كتاب الجنائز (باب ما قيل في أولاد المشركين) .

وكانت أمك إذا ما أصابها الهم والغم والكدر تنظر إلى وجهك المسرور فتذهب عنها كل هم وغم ، لكنها في ذلك اليوم لن تنظر إلى وجهك بعد تلك النظرة الأخيرة أية نظرة ثانية إلى الأبد .

وهؤلاء أخواتك وأبناؤك وصدقاتك فمنهم من أصيب باغماء على فراقك اليوم ، ومنهم من يبكي جشعاً لفراقك ومنهم من يصيح عند إلقاء النظرة الأخيرة على وجهك ، وما أحد منهم يدعونك باسمك بعد اليوم ، ولا بقوله : تعالي ياأختي ! بسرعة ، ولا بقوله : اسمعي ياأختي ! ولا بقوله : تفضل ، وأجلسي معي ، ولا ولا ولا وكانت هذه صدقاتك وأخواتك وبناتك اللاتي كنت تتجولين معهن في الأسواق والمحلات وقصور الأفراح والحدائق وتتهالك أجسادهن . ياليت لو أن هذه الأقدام تمشي إلى حلقات العلم والعرفان وفي سبيل الرحمن .

ثم يحملك الأقارب والأجانب على أعناقهم ، ثم يمضون بك إلى المسجد أو إلى الموضع المعد لصلاة الجنازة فينادى مناد : الصلاة على المرأة يرحمكم الله ، فيصلون عليك صلاة الجنازة ، وكنت قبل ذلك تصلين أو لم تصلي ، ثم يحملوك ، وكنت قبل ذلك تخرجين من البيت كاسية عارية وكان شعرك مكشوفاً ،

نعش الميت على أعناق الأقارب

مسافر الآخرة يسافر من الدنيا إلى منزله الأولى من منازل الآخرة ، وهذا سفره النهائي من أسفار الدنيا ، ومركبه أعناق الأقارب الذين يرجعون إلى منازلهم بعد وضعه في روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرات النار ، ولا ترجع هذا المسافر - المقوض إلى الحفرة - إلى منزله أبد الأباد .



وكنت لا تحبين البرقعة ولا الحجاب الشرعي - إلا ماشاء الله -
غير أنك اليوم تخرجين على نعش الميت وبدنك مستور حق
الستر حتى لا ينظر شئ من بدنك هذا ولا شعرة واحدة .
هكذا تقول شريعتنا البيضاء بأختاه ! وتأمر احتراماً وإجلالاً
لك بأن خروجك من البيت يكون على طريقة إسلامية كى لا يرفع
أحد من الذناب البشرية نظره إليك ، ولا يظهر جزء بدنك أمام
الأجانب ، وكنت قبل ذلك لا تصدقين على هذا الستر والحجاب
ولكن اليوم قد حققت الشريعة بأنك شئ يستر ، وكنت قبل
ذلك تنزلين على رغبتك حيث شئت وكيف شئت ، ولكن اليوم
بعد الموت لا تنفذ رغبتك بل تخرجين من البيت مستورة كي
يعرف الناس أن المرأة شئ يستر .

ثم أتدريين إلى أين ؟ أيرجعونك إلى دار ؟ لا والله ! ، أيرجعونك
إلى أبناءك ؟ لا والله ! أيرجعونك إلى زوجك وأهلك ؟ لا والله ،
يحملونك ويذهبون بك إلى المشوى الأخير يخاف منه الثقلان
ويتعوذ منه النبي عليه الصلاة والسلام وأمرنا بذلك كما في الحديث الذي
رواه مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال :

«بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له ،
ونحن معه إذ حادت به - أي مالت ونفرت - فكادت تُلقيه ، وإذا
اقْبُرُ ستة أو خمسة ، فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقبُر ؟
قال رجل : أنا ، قال : فمتى ماتوا ؟ قال : في الشرك ، فقال : إن
هذه الأمة تبتلئ في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن
يُسْمِعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل علينا
بوجهه فقال : تَعَوِّذُوا بالله من عذاب النار ، قالوا : نعوذ بالله من

عذاب النار ، قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال . رواه مسلم في صحيحه .

وياأختي العزيزة ! إذا كنت صالحة فستقولين عندما يحملك أقاربك على أكتافهم : «قدموني» «قدموني» ، وإلا تصيحين مثل المذنبين ، وتضرعين إلى الناس وتقولين : لا تذهبوا بي إلى هذه الحفرة المظلمة ، ولكن لا يسمع بكاءك ولا صراخك أحد من الأقارب والصدقات التي أبعدتك عن أحب السبل إلى الله الإسلام بل كلهم يقولون : ادفنوها بسرعة ، وقد كانوا يلقون إليك النظر في حياتك فيفرحون ، وأما بعد الموت فإنهم يخافون من إلقاء النظر إليك ، فيسارعون في دفنك .

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة ، قالت : قدموني ، وإن كانت غير صالحة ، قالت لأهلها : ياويلها أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمع الإنسان لصعق» متفق عليه كما في المشكاة باب المشي بالجنازة . آه ! الآن أنت على مقربة من القبر الذي ستدفن أنت فيه ، وعلى جهة واحدة من القبر ها أنت موضوعة على السرير ، ويسترق الناس النظر إلى مثواك الأخير إلى حفرتك العميقة الموحشة أو المؤسسة ، ويدخل الرجلان اللذان يواريانك وينظفان

سرير الأخت جنب القبر الذي ستفوض إليه بعد بضعة دقائق إما إلى روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرات النار



الحفرة من الأحجار الصغيرة كيلا تؤذي جسمك اللين ، ولكن هل شعرا وشعر كل قريب لك عِظَمَ عذاب القبر ، وأنواعه من نار ووحشة وغربة وحيات وعقارب ، وضمة القبر حتى تختلف الأضلاع .

ألا أيها المسئول انتبه!

فإنها مسئولية لن ينجو منها إلا من أعطاها حقها في هذه الحياة ، وتدبر نداء المولى سبحانه : **يَبْنَئُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَ قَوْمَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** التحريم : ٦ .

حتى لا تكون الحسرة والندامة يوم الدفن والكفن ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه وبئس للظالمين بدلا .

وفي أثناء ذلك - أى بعد إخراج الأحجار من القبر - نادى مناد من بينهم : أنزلا أنتما يافلان ! ويافلان ! في القبر ، فنزل رجلان كي يمسكا جسدك من الرأس وينزلوك في القبر ، وبدأ أحدهما يكرمك بوسادة من حجر أو اللبن بينما نزلوك في القبر قال بعضهم : برفق وعلى مهلكم أيها الأحباب ! كي لا تسقطى في القبر قبل الاسقاط من أيديهم ، وبعد أن وضعوك في القبر جعل بعض الناس يطولون أعناقهم مرة ثانية ليلقوا إليك نظرة أخيرة ، ثم يقول الجميع : أخرج يافلان ويافلان ، ولا يقول أحدهم : أخرجوا هذه فإنها أختي أو إنها ابنتى ، لا والله مايقومها أحد من الأقارب .



إنزال الميت في القبر

يا وارضع الميت في قبره
خاطبك الدهر ولم تسمع

وبعد بضع دقائق جعل بعضهم يغلِق باب قبرك وحفرتك بالأحجار ، ثم بعد إغلاق هذا الباب جعل الناس يحشون عليك التراب بالآلات ، وبعضهم يلقون عليك قبضة من التراب ، وبعضهم يرشون القبر بالماء ، وبعضهم يضعون الأحجار على القبر من قِبَل رأسك لتكون عندهم علامة لقبرك ، وكل ذلك عملاً بأحاديث الرسول ﷺ .

كما رواه ابن ماجه في سنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى على جنازة ، ثم أتى القبر فحشى عليه من قبل رأسه ثلاثاً كما في المشكاة باب دفن الميت .

وعن جابر رضي الله عنه قال : رُش قبر النبي ﷺ ، وكان الذي رش الماء على قبره بلال بن رباح بقرية ، بدأ من قبل رأسه حتى انتهى إلى رجليه . رواه البيهقي في دلائل النبوة كما في المشكاة باب دفن الميت .

وعن المطلب بن أبي وداعة قال : لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه أخرج بمجنازته فُدُن ، أمر النبي ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر فلم يستطع حملها ، فقام إليها رسول الله ﷺ وحسر عن ذراعيه ، قال المطلب : قال الذي يخبرني عن رسول الله ﷺ : كأنني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله ﷺ حين حسر عنهما ، ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال : «أعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» رواه أبو داود كما في المشكاة باب دفن الميت .

وها أنت يا أختاه ! فوضت إلى التراب ، وصدقت عليك آية القرآن التي أنزلها عز وجل قبل أربعة عشر قرناً من فوق سبع سموات ألا ! وهي : ﴿ثُمَّ أَمَّائِهِمْ فَأَقْبَرَهُ﴾ عبس : ٢١

اغلاق باب القبر بالأحجار



بعد إنزال الأخت إلى القبر المعلم يغلق الباب بالأحجار الذي أدخلت منه
وأنزلت في القبر ، وهذا الباب لا يفتحه أحد إلى يوم القيامة .

وقال الشاعر ما معناه :

أه ! وصل التراب إلى التراب فانظروا إلى عاقبة الإنسان ونهايته أيها الناس !
وصدق آية القرآن على هذه الأخت المفوضة إلى التراب التي أنزلها الله عز وجل
قبل أربعة عشر قرن ألا وهي : ﴿ثم أماته فأقبره﴾ عيس : ٢١ .
وهكذا يصدق عليك يا أختاه : كل ما أخبر عنه القرآن والحديث .

ثم يقف الناس قليلا حول قبرك ليسألوا الله لك الثبوت عند سؤال الملكين منكر ونكير ، لأنك الآن تسألين بعد الدفن ، وجعل الناس يدعون لك بالأدعية المأثورة التي ما وجدت لها فرصة على تعليمها ، شغلتك أعمال الدنيا وزينتها ، وما دعوت الله عزوجل لنفسك في حياتك وأفيتها حتى أتاك عزرائيل عليه السلام .

وجعل القاريء يقرأ فاتحة البقرة عند رأسك ، وخاتمة البقرة عند رجلك بعد الدفن .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه ، واسرعوا به إلى قبره ، وليقرأ عند رأسه فاتحة البقرة ، وعند رجليه بخاتمة البقرة» رواه البيهقي في شعب الإيمان وقال : والصحيح أنه موقوف كما في المشكاة باب دفن الميت . ثم بعد ذلك يرجع الأقارب إلى منازلهم وهم محزونون ، وتركوك في القبر منفردة بأعمالك الصالحة أو الطالحة .

حينما يتولى عنك أقاربك من أبيك وزوجك وأخوانك وأخوالك وغيرهم وإنك لتسمعين قرع نعاليهم ، أتاك ملكان فيقعدانك ، وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر وهو :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعاليهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد - ﷺ - ؟ أما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدالله ورسوله - ﷺ - ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من

النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فإرهما جميعاً ، وأما المنافق والكافر ، فيقال له : ماكنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليئ ، ويضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحة يسمعا غير الثقلين» متفق عليه ولفظه للبخاري .

وفي رواية لأحمد وأبي داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه : فيقولان له من ربك ؟ ما دينك ؟ الحديث .

أختي الفاضلة : ستبدين في القبر حياة جديدة ومدهشة وقد تعوذ بالله من فزعه الأنبياء والأولياء والأتقياء ، والأحاديث في إثبات عذاب القبر منها :

روى أحمد وأبو داود كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر : وفيه : قال : فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة ، فيفتح قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مد بصره ، وأما الكافر فذكر موته قال : يعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادى مناد من السماء : أن كذب ، فأفرشوه من النار ، وألبسوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، قال : فيأتيه من حرّها وسمومها ، قال : ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ، ثم يقيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيضربه بها ضربة يسمعا ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ، ثم يعاد فيه الروح . اهـ

هذه نبذة من حياة جديدة في القبر يأحتمه ! لا مثيل له في الحياة الدنياوية إن شرا فشر وإن خيرا فخير ، فاستعدي لهذه الحياة الجديدة من الخيرات وتعوذي من شرها وعذابها .

يروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبسل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتبكي من هذا ؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجى منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه ، قال : وقال رسول الله ﷺ : ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أقطع منه . رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «ليسלט على الكافر في قبره تسعة وتسعون تئيباً تنهسه وتلدغه حتى يقوم الساعة ، لو أن تئيباً منها نفخ بالأرض ما أنبتت خضر» رواه الدارمي وروى الترمذي نحوه وقال سبعون بدل تسعة وتسعون . نفس المرجع وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «هذا الذي تحرك له العرش (هو سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه) وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضُمَّ ضُمَّة ثم فرج عنه» رواه النسائي . كما في المشكاة باب إثبات عذاب القبر . هذه نبذة من الحياة البرزخية ، وكل نفس تدخل فيه وتحاسب وتدوق ذائقة القبر نعوذ بالله من عذاب القبر . وقال الشاعر :

ياواضع الميت في قبره خاطبك الدهر ولم تسمع
وقال قائل بعد مادفن الميت في قبره : خلط التراب بالتراب
فلينظر الناس العاقبة والنهاية .

وقال منصور بن عمار رحمه الله تعالى : ينقسم الرجل بعد الموت إلى خمسة أجزاء :

(١) المال للورثة .

(٢) الروح لملك الموت .

(٣) الجسد واللحم للدود .

(٤) العظام للتراب .

(٥) الحسنات للدائن والمظلومين .

ثم قال : لو أخذت الورثة المال يجوز ولا بأس به ، وهكذا لو أخذ ملك الموت الروح وذهب به يجوز ولا بأس به ، لكن اجتهدوا أيها الناس واتقوا ! ألا يجرمكم الشيطان ويسلب إيمانكم . أختي العزيزة ! يذكر الله سبحانه غفلتنا وخوضنا في حب الدنيا ونعيمها وزهرتها وعدم طلب الآخرة حتى جاءنا الموت وزرنا المقابر وصرنا من أهلها فيقول سبحانه ويخوف عباده :

أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْكَافِرُونَ ۖ حَتَّىٰ رُذِّمُوا الْمَقَابِرَ ۚ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ كَلَّا لَوْ تَقْلِمُونَ

عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا

عَيْنَ الْيَقِينِ ۖ ثُمَّ لَتَسْتَلْتُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ ۗ

أيها الناس ! لا ينتهي الكلام إلى هذا الحد فإن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، ثم بعد ذلك سفر طويل ، ويسكن الرجل في القبر إلى يوم يعثون ، ثم ماذا بعد ذلك ؟ يخبر عنه سبحانه ويقول :

حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ

ارْجِعُونِ ۗ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ

هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۗ فَإِذَا نُفِخَ

فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٤٦﴾
 فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤٧﴾ وَمَنْ
 خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
 خَالِدُونَ ﴿١٤٨﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٤٩﴾
 أَلَمْ تَكُنْ أَتَى عَلَىٰ عَيْنِكَ فُكْنُكُمَ إِذْ كُنْتُمْ فِيهَا كَاذِبِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالُوا
 رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٥١﴾ رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِندَاقًا ظَالِمُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ أَخْسَرْتُمْ فِيهَا

وَلَا تَكَلِّمُونَ ﴿١٥٣﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
 خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٥٤﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمُ سِغْرًا حَتَّىٰ أَنسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَاهِكُونَ ﴿١٥٥﴾
 إِلَىٰ جَزَائِهِمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٥٦﴾
 المؤمنون : ٩٩ - ١١١

يا محمية هذا الدين ويا أمل هذه الأمة المحمدية

أرجوك يا أمة الله ! اخرجي نفسك من أشغال الدنيا الفانية
 وارجمي إلى ربك طوعا أو كرها ، ولا تنظري إلى ما حرم الله ، ولا
 تسمعي ما ليس بمباح ولا تمشي إلى مجالس الوقاحة الخبيثة
 ولا الأسواق مجالس الشيطان ، هذه الأشياء - لا سمح الله -
 تلقيك في حفرة التهلكة ، والوقت الذي تضيعين في هذا
 العبث خصصه لعبادة الله ولتلاوة القرآن وذكر الله تعالى .
 وهناك قصة لأختك الصالحة نبينا لك عسى أن تكون فيها
 عبرة لك ولأخواتك ألا وهي :

يحكى أن رجلا كان يسير في شوارع الكوفة وكان جائعا ، فرأى
 حديقة ، ورأى تفاحة ألقته شجرة من الحديقة ، فأمسك

التفاحة وأكلها ، وبعد ما أكلها تذكر أنه ليس من حقه أن يأكلها حيث أنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تُكُونَ تِجَارَةً عَنِ تَرْضَى مِنْكُمْ﴾ النساء : ٢٩ ، فذهب إلى حارس الحديقة وقال له : أخي الكريم لقد أكلت التفاحة من هذه الحديقة فخذ ثمنها لأنني أخاف أن يحاسبني الله على ما أكلته بالباطل وبغير إذن منك ، فقال له الحارس ياسيدي ! أنا حارس الحديقة ولا أملك السماح أو الرضا ومالي حق أن آخذ ثمنها ، فاذهب أنت إلى مالك الحديقة فهو الذي يستطيع السماح أو الرضا .

فسأله أين مالك الحديقة ؟ فدلّه الحارس على بيت مالكةا ، فلما ذهب إليه بعد سفر طويل وطرق باب مالك الحديقة وقص عليه ما حدث ، فقال له مالك الحديقة : لا أسامحك ولا أقبل الثمن إلا بشرط ، فقال : وما ذلك الشرط يا عمّي ؟ قال : ذاك أن تتزوج ابنتي :

(١) عمياء العينين

(٢) صماء الأذنين

(٣) بكماء اللسان

(٤) قعيدة كسيحة لا تتحرك

اعتذر الشاب القادم ولكن مالك الحديقة مصر على شرطه ، فعجب القادم حيث لم يسامح ولم يقبل الثمن إلا بشرط قبول الزواج ، وأخذ يفكر في الأمر ويقول في نفسه : إذا لم أتزوج ابنته فلا سماح لي منه ، وإذا لم يسامحني ، فهي مسئولية أمام الله عن هذه التفاحة ، نظراً إلى قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزال : ٨ ، فعلياً أن أتزوجها مهما كان بها لأجل أن أنجو

بنفسى من عذاب الله عزوجل فعقد العقد وتزوج ابنة مالك الحديقة .
فقال والدها : لقد أخليت لك حجرة في بيتي فاذهب وصل
العشاء وستجد الزوجة في انتظارك ، فصلى العشاء وطرق الباب
على الزوجة وقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقصد بالسلام أن
ترد الملائكة فيبارك الله لهم .

فوجد الزوجة مسلمة لا شية فيها ، ونظر إلى وجهها فكأنه
القمر ليلة البدر ففرح بها فرحا شديداً ، ثم سأل هذا الشاب
والدها : أمّا قلت لي أن ابنتي عمياء ... صماء ... بكماء ...
وكسيحة القدمين ؟ قال : نعم هي :

- بكماء اللسان لأن لسانها لا يتكلم إلا بما يرضى الله .
- عمياء العينين لأن عينيها لا تنظران إلى ما حرم الله .
- صماء الأذنين لأنها لا تسمع بأذنيها إلا ما أحل الله .
- كسيحة القدمين لأنها لا تمشي بها إلا إلى مجالس العلم والدين
وإلى بيوت الله .

ثم سأل الشاب لماذا زوجت ابنتك بي وأنت لا تعرفني والحال
أنها جميلة صالحة قانتة تائبة خاشعة وذاكرة لله سبحانه ؟
فأجاب أن ابنتي هذه كانت ثقلا على رقبتى وأمانة ، وكان حقاً عليّ
أن أؤدي هذه الأمانة إلى أهلها - الأمين الثقي - وفكرت : الشاب
الذي يقطع المسافة الطويلة ليؤدي الثمن لبعض حبات الثمر مع
أنه يجوز له أكلها في حالة الاضطرار والجوع كما قال تعالى :
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ
اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴾ البقرة : ١٧٣ . فكيف لا يؤدي حق ابنتي ويرعاه

فأدّيت هذه الأمانة إلى أهلها ، وأرجو الله عزوجل أن يكرمنا بهذا العمل .

فهل آباؤنا اليوم يحبون ويختارون مثل هذه البنت العمياء ... الصماء ... البكماء وكسيحة القدمين ، وهل كل بنت تحب أن تختار هذه الصفات وتزين بها نفسها . اللهم حبّب إلى بناتنا الإيمان وزيّنه في قلوبهنّ وكرّه إليهن الكفر والفسوق والعصيان ، وجنّبهن من مشابهة بنات اليهود والنصارى في جميع الأعمال الطالحة . آمين يارب العالمين .

أختي الفاضلة ! أتّى لك هذه الصفات إلا ما شاء الله - لكن من جد وجد .

ويحكى أن الملك شجاع الكرمانى رحمه الله ترك ملكه وآثر الآخرة على الدنيا ، وكانت له ابنة واحدة ، وكانت نبيلة وفهيمة وفقية - ولا حاجة إلى بيان مناقبها - وفيه كفاية بأنها كانت ابنة الملك الكرمانى رحمه الله - فلما بلغت أشدها ، أراد الملك أن يزوجهها فخطبها الملوك وأبناؤهم من الأمراء والوزراء ، فرفضهم الملك جميعاً نظراً إلى خوضهم في حياتهم الدنيا ، ففكر الملوك والوزراء والأمراء ماندرى ماذا يريد هذا الملك لابنته ؟ وما ندرى لأي ملك ينكحها ؟

فراى الملك مرة رجلاً مسكيناً في المسجد كان يصلى بخشوع وخضوع وحضور قلب ، وكان النور يتلألأ على وجهه ، فلما رآه الملك أحبه وأراد أن يزوجه ابنته ، وقال في نفسه : ومن يكون أعظم شأن من هذا المصلى ، فلما انصرف الرجل من صلاته قال له : أيها الرجل ! إن لي بك حاجة ؟ فقال : أبشر وتفضل ! فسأله هل أنت متزوج أم لا ؟ فقال : من ينكح ابنته بهذا المفلس المسكين ؟ ومن يسأل المساكين عن الزواج ؟ - وما انتبه الشاب

على أنه الملك الكرمانى الذى ترك الملك وآثر الدين على الدنيا وزهرتها .
فقال الملك : لو ينكح الملك الكرمانى ابنته لك فهل ترضى
أنت وتقبلها ؟ فضحك الرجل وقال : أتئى لى هذا ؟ أين أنا وأين
الملك الكرمانى وابنته ؟ وقرء عليه قوله تعالى قاتلا : ﴿يا أيها الذين
آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ الحجرات : ١١
قال الملك : ماأنا بالذى يسخر منك أيها الرجل ، فقال الشاب :
خلنى يا عمى ! على حالى ولا تذلى أمام الناس ، فقال الملك : أنا
الملك الكرمانى ولا أقول إلا الحق ، فقال الرجل : إذا كان الأمر
كذلك وأنت الملك الكرمانى أتقبلها بقبول حسن وأتبرك بها
لأنى سمعت من مناقبها شيئا كثيرا ، فقال الملك : إذا أنت
راض فأمهلىنى رويدا حتى أسأل ابنتى ، فذهب الملك إلى ابنته وبين
لها زهد هذا الشاب وتقواه ، والدليل على ذلك أنه يحسن فى
صلاته ويصلى صلاة الخاشعين ، وما ذكر عندها شيئا من مال
الدنيا هل يوجد عنده أم لا ؟ .

قال المؤلف : تفكرى أختى العزيزة ! ماأحسن الدليل على
زهد هذا الرجل وتقواه ، يبينه الملك على ابنته بأنه يصلى صلاة
الخاشعين ، ومن المعلوم أن للصحبة أثرا على البنات أكثر من
الأبناء ، وقلوب البنات ألين من الأبناء وأصلح لتقبل الأعمال
الصالحة والطالحة من الوالدين ، ولقد كان أثر الوالد على ابنته واضحا .
فقالت : قبلته يابأت ولكن بشرط وهو : أن لا يكون هذا
الرجل من محبى الدنيا وزينتها ، فزوج الملك ابنته هذا الرجل
وأوصاها بطاعة بعلمها وحسن معاشرته .
واسمعى ياأختى شيئا من حسن سيرتها ، فلما دخلت

ابنة الملك بيت زوجها فرأت في وسط البيت قلة ماء ورأت فوقها
قطعة خبز يابسة ومغطاة بشيء ما ، فوقففت وقفة وخرجت من
بيت بعلمها وهي تقول :

ياأبتاه ! إلى من ذهبت بي وأنكحتني ؟ أألى مثل هذا الرجل ؟
فسمعه زوجها وقال : ألم تقبلي أن تعيشي مع زوجك المسكين ؟ فلما
سمعت قول زوجها قرأت عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ
إِثْمٌ ﴾ الخجرات : ١٢ ، وقالت : هل فكرت إني خرجت من بيتك
نظرا إلى فقرك وإفلاسك ؟ كلا بل خرجت من بيتك لأن والدي
المحترم شهد لك بالزهد والتوكل على الله ، فما وجدت فيك هذه
الخصلة ، لأنك لو كنت زاهدا ومتوكلا على الله سبحانه فما تحب أن
تضع قطعة من هذا الخبز لوقتك الآتي ، فقال الرجل : إني كنت
صائما فوضعتها لأفطر به ، فقالت ابنة الملك : الصوم لله تعالى
فصرت ضيفه سبحانه ، وعلى المضيف أن يكرم ضيفه ، فلماذا
أنت وضعتها لوقتك الآتي وإفطار صومك ، فتصدق الرجل
بهذه القطعة اليابسة من الخبر فوراً ، ثم رجعت ودخلت بيت
زوجها وحسنت عشرتهما .

وياأختاه ! هذه السيدة أم سليم رضي الله عنها : زوجت
نفسها أبا طلحة ، فما كان لها مهر إلا إسلامه .

وقد ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٤٢٧ : أن أم
سليم قالت : يا أبا طلحة ! ألسنت تعلم أن إلهك الذي تعبد ؟
إنما هو شجرة تنبت الأرض ، نجرها حبش بني فلان ؟ قال :
بلى . قالت : أما تستحي أن تسجد لخشبة تنبت من الأرض
نجرها حبش بني فلان ؟ قالت : فهل لك أن تشهد أن لا إله

إلا الله ، وأن محمداً رسول الله - ﷺ - وأزوجك نفسي ، لا أريد منك صداقاً غيره ؟ قال لها : دعيني حتى أنظر . قالت : فذهب فنظر ثم جاء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالت : يا أنس ! قم فزوج أبا طلحة - وكان قد جاءها خاطباً - فما كان لها مهر إلا إسلامه . انتهى .

يأمة الله ! ويا محمية هذا الدين ! فعليك أسوة هؤلاء البنات والأخوات والأمهات في إظهار الدين على الدنيا وزينتها والرجوع إلى طاعة الله ورسوله ﷺ لتكوني مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وقد ذكر القرطبي في تفسيره تحت قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ النساء ٦٩ قوله : وقالت طائفة : إنما نزلت هذه الآية لما قال عبدالله ابن زيد بن عبد ربه الأنصاري : يا رسول الله ! إذا متّ وامتنا ، كنت في عليين ، لا نراك ، ولا نجتمع بك ، وذكر حزنه على ذلك فنزلت الآية .

ثم قال : ذكر مكّي عن عبدالله هذا : وأنه لما مات النبي ﷺ قال : اللهم أعمني حتى لا أرى شيئاً بعده فعمي . وحكاه القشيري فقال : اللهم أعمني فلا أرى شيئاً بعد حبيبي ، حتى ألقى حبيبي -- ﷺ -- حتى عمي مكانه» اهـ من تفسير القرطبي ذكره تحت الآية المذكورة .
وروى ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال :

مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعاها لها ، قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يأأم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه : قال : فأشير إليه حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل يكون بمعنى القليل والكثير ، وهو ها هنا من القليل . راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٩٩ دار الكنوز .

ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها : اكشفي لي قبر رسول الله ﷺ ، فكشفتها لها ، فبكت حتى ماتت . راجع الشفاء لقاضي عياض ٢/ ٢٣ طبع دار الكتب العلمية .

وأخرج البخاري في الأدب ص ٧٨ عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أصحاب محمد ﷺ ذهب بصره فعاده فقال : كنت أريدهما لأنظر إلى النبي ﷺ ، فأما إذا قبض النبي ﷺ فوالله ما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء تباله .

قوله : تبالة : بلد باليمن (والظبي : الغزال) وأخرجه ابن سعد في الطبقات : ٢/ ٨٥ عن القاسم نحوه .

فعلم من هذه القصص أن أحب الأشياء من الدنيا وما فيها وأفضلها وأعلاها وأجودها وأحلاها إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء هو أن تكون العيون لرؤية وجه النبي صلى الله عليه وسلم .

أيها الراقصون! على صوت العود والبيانو ودندنته

ألا ! هذه هي الأشياء التي جدية بالذكر وجديرة أن نفدي بها أنفسنا ، وهذا هو الحب الحقيقي للنبي ﷺ بأن النساء والرجال من أصحاب الرسول ﷺ كانوا يحبونه أشد الحب ، وفدوا رسول الله ﷺ بأموالهم ومهجهم وقتلوا في محبته ﷺ آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم ، ولازموه ولم يطيقوا فراقه ولم يصبروا عنه ، وليس لديهم غرض للعيون إلا رؤية وجه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وقراءة القرآن ، وليس لديهم غرض للأذن إلا الاستماع إلى أحكام الله ورسوله ﷺ كي يعملوا بها ، وليس لديهم غرض للأيدي إلا أخذ القرآن الكريم وكتب الحديث ومقام الملتزم والحجر الأسود وأن تلمس كل ما لمسَه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من الحلال والمباح واكتساب الخيرات . وما أحسن قول القائل بالفارسية وهذه ترجمته :

يقول الشاعر : افتخر بعيني لأنهما ينظران إلى حسنك وجمالك ، وبرجلي لأنهما سبب للوصول إلى بيت الله الحرام وإلى مسجد الرسول ﷺ وإلى كل عمل شرعي يحبه الله ، وأحب أن أقبل يدي لا لأجل أنهما يداي ، بل لأجل أنهما يداك ، ولأنه أمسك بهما الكتاب الذي فيه شفاء لما في الصدور اهـ .

وكيف لا ؟ وقد ورد في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب

إلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افترضْتُ عَلَيْهِ ، وما يزال عَبْدِي
يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ فَكُنْتُ سَمِعَهُ
الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُهُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ،
وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلْتَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ» الْحَدِيثُ رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ كَمَا فِي الْمَشْكَاةِ بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ .

إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ أَيْ «إِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ
سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُهُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ
بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا . إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ .

فَلِمَاذَا لَا نَشْكُرُ اللَّهَ وَنَقْبِلُهَا أَنْ جَعَلَهَا سَبِيلاً لِلْوَصُولِ إِلَى
صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ الْقَدْسِيُّ لَا يُطْلَقُ عَلَى الْإِنْسَانِ
إِلَّا بَعْدَ الْإِنْقِيَادِ الْكُلِّيِّ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَيَعِيشُ الْإِنْسَانُ كَعَبْدٍ مَحْضٍ
وَيَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ كَافَةً وَيَسْتَسَلِمُ لِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ .

يُحْكِي أَنَّهُ سَأَلَ سَائِلَ عَبْدًا مَاذَا تَأْكُلُ ؟ قَالَ : مَا أَطْعَمَنِي رَبِّي
أَيَّ سَيِّدِي ، ثُمَّ سَأَلَهُ مَاذَا تَلْبَسُ ؟ قَالَ : مَا أَلْبَسَنِي رَبِّي ، وَقَالَ مَاذَا
تَفْعَلُ ؟ فَأَجَابَ مَا أَمْرُنِي رَبِّي ، قَالَ : هَلْ لِنَفْسِكَ أَنْتَ رَغْبَةٌ أَوْ
شَهْوَةٌ خَاصَّةٌ أَمْ لَا ؟ قَالَ : لَوْ كَانَتْ لِي شَهْوَةٌ أَوْ رَغْبَةٌ لَا أَكُونُ عَبْدًا
بَلْ أَصْبَحُ سَيِّدًا .

أَخْتِي الْعَزِيزَةُ : عِنْدَمَا يَسْلَمُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ إِلَى إِنْسَانٍ آخَرَ
بِسَبَبِ إِحْسَانِهِ الْبَسِيطِ وَهُوَ لَيْسَ بِخَالِقٍ لَهُ وَلَا هُوَ مَالِكُهُ
الْحَقِيقِيِّ ، فَمَا هُوَ اعْتِقَادُكَ بِهَذَا الْمَالِكِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي أَنْعَمَ
عَلَيْكَ بِنِعْمٍ لَا تَعُدُّ وَلَا تَحْصِي ، وَأَعْطَاكَ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتَيْهِ
وَتَشْهَدِينَ بِشَهَادَتَيْنِ قَائِلَةً : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ، وَتَقُولِينَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ،

وتقولين : نؤمن بك ونتوكل عليك ونشني عليك الخير نشكرك ولا نكفرك نخلع ونترك من يفجرك ، مع ذلك تمشين على رغبتك ، إن هذه ليست بعبادة ، بل هذا إقرار باللسان فقط وليس في القلب شيء كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِاللَّسَانِ فَقَطْ وَلَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ الفتح : ١١ ، أو كما قال تعالى : ﴿ يُرْضَوْنَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ التوبة : ٨ .

العبادة الحقيقية هو أن يكون الإنسان أمام ربه سبحانه «كالميت في يد الغسال» لا يعمل أي عمل برغبته بل ينظر فيه ويتفكر كيف أمرني ربي فيه ورسوله الكريم ﷺ .

ومن شأن المؤمن الحقيقي أنه لا يمشي ولا يمسك ولا ينظر حتى ولا يتفل ولا يبول برأيه وكيفيته بل يبحث فيه أوامر الله ورسوله ﷺ وعندما يعمل الإنسان عملاً حسب أوامر الله ورسوله يصبح محبوباً له وينال رضاه عزوجل و ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ .

وهذه بعض الأمثلة في امتثال أمر الله وأمر الرسول ﷺ للمؤمنين السابقين من الرجال والنساء الذين شهد الله تعالى لهم وأثنى عليهم من فوق سبع سموات بقوله : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ البقرة : ٨ ، وقال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ الأنفال : ٤ وقال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ التوبة : ٢٠ وقال : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ التوبة : ٨٨ وقال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ وقال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ الحجرات : ١٥ وقال : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ هود : ١١ وقال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ ﴾ الأنعام : ٩٠ ، وقال : ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمُ

الدَّرَجَاتِ الْعُلَى ﴿ طه : ٧٥ وقال : ﴿أولئك يؤتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ
بِمَا صَبَرُوا﴾ القصص : ٥٤ وقال : ﴿أولئك الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ
قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ الحجرات : ٣ ، وغير ذلك من الآيات .

وهذه قصة عبدالله بن رواحة في سرعة امتثال أمره ﴿صَلَّى﴾
أخرجها ابن عساكر عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن عبدالله بن رواحة
رضي الله عنه أتى النبي ﴿صَلَّى﴾ ذات يوم وهو يخطف فسمعه وهو
يقول : «اجلسوا» فجلس مكانه خارجاً عن المسجد حتى فرغ
النبي ﴿صَلَّى﴾ من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ﴿صَلَّى﴾ فقال : «زادك
الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله» كذا في الكنز وأخرجه
اليهقي أيضاً نحوه عن عبدالرحمن بسند صحيح كما في الإصابة ٢٠٦/ ٢ .

وهذه قصة عبدالله بن مسعود في سرعة امتثال أمره صلوات الله
وسلامه عليه ، أخرجها ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال :
لما استوى رسول الله ﴿صَلَّى﴾ على المنبر يوم الجمعة قال : «اجلسوا»
فسمع ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فجلس عند باب المسجد
فرآه النبي ﴿صَلَّى﴾ فقال : «تعال يا عبدالله بن مسعود !» كذا في
الكنز ٥٥/ ٧ .

يدل هذا الحديث على أن المؤمن الحقيقي لا يقدر أن يمشي
على رغبته حيث شاء ومتى شاء ، بل إذا قيل له إجلس ههنا
يجلس ههنا ، وإذا قيل له قم من هذا المجلس ، يقوم ولا يجلس
فيه أبداً ، امتثالاً لأمر الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .
تفكروا في مجالسكم أيها الناس ! هل هي مصداق قوله
سبحانه : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ المُنْكَرَ﴾ العنكبوت : ٢٩ ، أو غير
ذلك ؟ وهل تسمح لنا الشريعة الجلوس في بعض مجالسنا

الشيعة ؟ فاستفت قلبك السليم . وهل نتركها أم لا ؟ نظراً إلى قوله تعالى لعباده المؤمنين المفلحين : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّعْوِ مُعْرِضُونَ﴾ المؤمنون : ٣ .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ الأعلى : ١٦ - ١٧ .

وهذه قصة فتاة أنصارية في الأمتثال أخرجها سعيد بن منصور وابن النجار عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال لي : « رأيتها ؟ » فقلت : لا ، قال : « فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » ، (أى تكون بينكما المحبة والاتفاق) فأيتها فذكرت ذلك لوالديها فنظر أحدهما إلى صاحبه ، فقمت فخرجت فقالت الجارية : عليّ الرجل ، فوقفت ناحية خدرها (ناحية في البيت يُترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر) فقالت : إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إليّ فانظر ، وإلا فإني أحرّج عليك أن تنظر ، فنظرت إليها فتزوجها ، فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إليّ منها ولا أكرم عليّ منها ، وقد تزوجت سبعين امرأة . كذا في الكنز : ٢٨٨ / ٨ .

فانظري إلى أختك المسلمة أيتها المسلمة ! وإلى امتثال أمرها لرسول الله صلى الله عليه وسلم في باب الحجاب وإلى طهارة نظرها من الأجانب ، وكيف نهوته قائلة : « إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إليّ فانظر ، وإلا فإني أحرّج عليك أن تنظر » .
وأما في هذه الأيام لا حاجة إلى أن نسأل أهل المخطوبة بالنسبة لالقاء النظر إليها - إلا ما شاء الله - لأنها تمشي في الأسواق بدون حجاب كاسية عارية ، بل كل من أراد من الخبيثين

أو الديوثين أن ينظر إليها فلينظر متى شاء وحيث شاء ، بل إنها لما تدخل إلى المحلات أو الدكاكين للشراء تظهر جمالها وترفع الحجاب مفتخرة مسرورة - أعاذنا الله منها - وذلك امتثالا لأمر الشيطان الخبيث القائل بالخلف والتأكيد :

﴿قَالَ فَبِعَرِيكَ لِأَعْيُنِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

ص : ٨٢-٨٣

أما الطيبون من الرجال فيغضون أبصارهم عندما تعرض لهم هذه الخبيثات من النساء ويتعوذون بالله منهن . وصدق الله العظيم
الْمُطَيَّبَاتُ لِلْمُطَيَّبِينَ وَالْمُطَيَّبَاتُ لِلْمُطَيَّبِينَ وَالْمُطَيَّبَاتُ لِلْمُطَيَّبِينَ
لِلْمُطَيَّبَاتِ
النور : ٢٦ .

وهذه قصة ثانية لفتاة أنصارية في أمثال أمره ﷺ رواها الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي قال : إن جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمرنهن ويلاعبهن ، فقلت لامراتي : لا تدخلن عليكن جليبيبا ، فإنه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن ، قالت : وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا ؟ فقال النبي ﷺ لرجل من الأنصار : «زوّجني ابنتك» قال : نعم وكرامة يارسول الله ! ونعمة عين ، فقال ﷺ : «إني لست أريدها لنفسي» قال : فلمن يارسول الله ؟ قال ﷺ : «جليبيب» فقال : يارسول الله ! أشاور أمها ، فأتى أمها فقال : رسول الله ﷺ يخطب ابنتك ، فقالت : نعم ونعمة عين ، فقال : إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها جليبيب فقالت : أجليبيب ابنه ؟ أجليبيب ابنه ؟ لا لعمر الله لا تزوجه ، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ

فيخبره بما قالت أمها ، قالت الجارية : من خطبني إليكم ؟
فأخبرتها أمها ، قالت : أتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟
ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني ، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ
فقال : شأنك بها فزوجها جليييا .

قال : فخرج رسول الله ﷺ في غزوة له فلما أفاء الله
عليه قال لأصحابه رضي الله عنهم : «هل تفقدون من أحد ؟»
قالوا: نفقد فلانا ، ونفقد فلانا ، قال ﷺ : «انظروا هل
تفقدون من أحد ؟» قالوا : لا ، قال ﷺ : «لكني أفقد جليييا»
قال : ﷺ : «فاطلبوه في القتلى فطلبوه فوجدوه إلى جنب
سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فقالوا : يارسول الله ! هاهو ذا إلى
جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه ، فأتاهم رسول الله ﷺ
فقام عليه فقال : «قتل سبعة وقتلوه ، هذا مني وأنا منه ،
مرتين أو ثلاثة ، ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه وحفر
له ، ما له سرير إلا ساعد النبي ﷺ ثم وضعه في قبره ، ولم
يذكر أنه غسله رضي الله عنه .

قال ثابت رضي الله عنه : فما كان في الأنصار أيم أنفق منها .
وحدث إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة ثابتا هل تعلم ما
دعا لها - أي لفتاة أنصارية - رسول الله ﷺ ؟ فقال : قال :
«اللهم صب عليها صباً ولا تجعل عيشها كداً» وكذا كان ، فما
كان في الأنصار أيم أنفق منها . وهكذا أورده الإمام أحمد بطوله
وأخرج منه مسلم والنسائي في الفضائل قصة قتله ، راجع التفسير لابن
كثير ٣ / ٤٩٠-٤٩١ .

تفكري ياأختاه في أختك المسلمة الأنصارية رضي الله عنها

كيف امتثلت بأمر الرسول ﷺ ووهبت نفسها وتزوجت
 برجل كان يدخل على النساء يمرنهن ويلاعبنهن ولا يحبه الناس
 أن يدخل في بيوتهم ويلعب النساء ، دعت نفسها وشهواتها
 التي تكون لابنة شابة في الزواج كذا وكذا كما تعرفين أكثر مما
 أعرف ، وذلك امتثالا لأمر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .
 وانظري إلى وثوق إيمانها ويقينها برسول الله ﷺ ترد قول
 أيها وأمها على وجوههما وترميها قائلة : «أتردون على رسول الله
 ﷺ أمره ؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني» .

فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير والبركة ، وكذا كان
 فما كان في الأنصار أيم أنفق منها رضي الله عنها ، فما نالت
 البنت كل ذلك إلا بعد امتثال أمر الرسول ﷺ ، وكانت عندها
 رضوان الله ورسوله ﷺ فوق كل شيء .

إي والله هكذا نبينا ﷺ لن يضيعنا وحياتنا بأمر يأمر
 به أمته ﷺ يطمئن به القلب أم لا ، بل يضيئي لنا حياتنا
 وينور قلوبنا بأقواله وأفعاله وأوامره الجميع ، وذلك إذا كان
 الإنسان مطيعا لأوامره ﷺ .

وانظري يا אחتي ! إلى مكانة هذا الرجل الذي يحب النبي ﷺ
 ويحبه النبي ﷺ ويزوجه برضاه من يشاء ، ويقول فيه بعد
 قتله : «هو مني وأنا منه» مرتين أو ثلاثة ، وما كان له سرير إلا
 ساعد المصطفى ﷺ عند وضعه في القبر .

قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه القصة تحت الآية :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ

أَهُمَّ الْخَيْرَةَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

الأحزاب : ٣٦

مُبِينًا

فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله
ورسوله ﷺ بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد
ههنا ، ولا رأي ولا قول ، كما قال تبارك وتعالى :

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ النساء : ٦٥

وفي الحديث : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون
هو اه تبعاً لما جئت به» ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال :
﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ كقوله تعالى :
﴿فَلْيَحْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ اه من التفسير لابن كثير ٤٩١/ ٣ .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ
رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه فقال : يعمد
أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ، ف قيل للرجل
بعدهما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك وانتفع به ، قال :
لا ، والله ! لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه
وسلم . رواه مسلم كما في المشكاة باب الخاتم .

وقال ابن كثير في البداية ٢٩١/ ٤ : وذكر عروة أن أبا سفيان
لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان عند العباس ورأى الناس
يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة خاف ، وقال
للعباس : ما بالهم ؟ قال : إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون
للصلاة فلما حضرت الصلاة ورأهم يركعون بركوعه ويسجدون
بسجوده قال يا عباس ! ما يأمرهم يشيء إلا فعلوه ، قال : نعم ،

والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه . انتهى مافي البداية .
هذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى
يكون هواه تبعاً لما جئت به » يقضي نفسه بأوامر الله ورسوله
ﷺ ، ولكن الناس اليوم يريدون أن تكون أوامر الله تبعاً
لأهوائهم وحسب رغبتهم وشهواتهم ، وصار الناس يستفتون بنية
أن يفتى المفتي برغباتهم وليس حرصاً على طاعة الله ورسوله
صلوات الله وسلامه عليه .

أرجوك يا أختي ! ادخلي في السلم كافة كما قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً ﴾ البقرة : ٢٠٨

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين
به المصدقين برسوله - ﷺ - أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام
وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا
من ذلك . الخ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ النساء : ١٣٦

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول
في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه الخ .

وقد اقتضى الخلف أثر السلف في الطاعة والمحبة ، وما زالت
طائفة من هذه الأمة تُعرف بفرط محبتها وطاعتها لرسول الله
ﷺ ، فنالتها من ربها نفحات واختصاصات إلهية ، قد
أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
ﷺ قال : « من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي ، يود
أحدهم لو رآني بأهله وماله » .

وأخرج البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن قوماً يأتون من بعدي يود أحدهم أن يفتدي برؤيتي أهله وماله .

قال الهيثمي ١٠ / ٦٦ : وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وحديثه حسن وفيه ضعف ، وبقيه رجاله ثقات ، كما في حياة الصحابة ٢ / ٦٧١ .

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : وددت أني لو رأيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني . قال الهيثمي ١٠ / ٦٦ : رواه أحمد وأبو يعلى ولفظه :

«ومتى ألقى إخواني ؟» قالوا : يا رسول الله ! ألسنا إخوانك ؟ قال : «بل أنتم أصحابي ، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يروني» .

وفي رجال أبي يعلى محتسب أبو عائض وثقه ابن حبان وضعفه ابن عدي ، وبقيه رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير الفضل بن الصباح وهو ثقة . وفي إسناده أحمد جسر وهو ضعيف ، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير محتسب . اه راجع حياة الصحابة ٢ / ٦٧١-٦٧٢ .

وروى القاضي عياض في الشفاء عن عبدة بنت خالد بن معدان قالت : ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أصحابه ، من المهاجرين والأنصار ، يُسميهم ، ويقول : هم أصلي وفصلي ، وإليهم يحن قلبي ، طال شوقي إليهم ، فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم . الشفاء ٢ / ١٨ طبعة عثمانية .

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم للذين يأتون من بعده كما أخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ جالسا فقال : «أبغوني بأفضل أهل الإيمان إيماناً !»

قالوا : يارسول الله ! الملائكة ، قال : هم كذلك يحق لهم ذلك ، وما يمنعهم من ذلك وقد أنزهم الله المنزلة التي أنزلهم بها ؟ بل غيرهم ! قالوا : يارسول الله ! الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالاته والنبوّة ، قال : هم كذلك ويحق لهم ، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالمنزلة التي أنزهم بها ؟ قالوا : يارسول الله ! الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء ، قال : هم كذلك ويحق لهم ، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة ؟ بل غيرهم ! قالوا : فمن يارسول الله ؟ قال : «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني ، ويصدّقون بي ولم يروني ، يجدون الورق المعلق - المراد المصحف - فيعملون بما فيه ، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً» .

قال الهيثمي ١٠ / ٦٥ رواه أبو يعلى كما في «حياة الصحابة ٢ / ٦٦٩ - ٦٧٠ طبع دار القلم بيروت .

وعند أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «طوبى لمن رآني وآمن بي ! وطوبى لمن آمن بي ولم يرني» سبع مرات . قال الهيثمي ١٠ / ٦٧ : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة انتهى كما في «حياة الصحابة ٢ / ٦٧١» .

أختي المحترمة ! هل لنا نصيب من هذه البشارة بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بأن نكون من هؤلاء الذين قال النبي ﷺ فيهم : «من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي» وقال «ف هؤلاء أفضل الإيمان إيماناً» وقال : «طوبى لمن آمن بي ولم يرني» سبع مرات .

أو نحب أن نكون من هؤلاء الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، أو نحب أن نكون من هؤلاء

الذين قال الله تعالى في شأنهم : ﴿كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ المرسلات : ٤٦ .

اعلمي يا أختي ! أن الحياة ستمضي على كل حال ولكن الحياة الطيبة والتمتع هي التي تمضي على سنة المصطفى ﷺ ، فلو نتعهد حكمه ﷺ على كل قدم وعلى كل لحظة سنجد في حياتنا الدنيا الراحة والطمأنينة . ويدل على ذلك قول الخالق سبحانه : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

التحل : ٩٧

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا ، وهو عمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنشى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله ﷺ ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت . قاله ابن كثير ٥٨٦/ ٢ .
يستفاد من هذه الآية أن الله لا يقبل عمل الكافر ولو صالحا .

أختي العزيزة! هل لك نصيب في قراءة القرآن وتدبره

يا جوهرة الكون المكنونة ! لا تضيعي الوقت فيما تشتت فيه النفس من المرغوبات الحديثة مثل الأفلام الشنيعة والمجلات الفاحشة ، بل قدرتي وقتك الثمين حق قدره واقضيه في تعليم الإسلام وقراءة القرآن وفهمه والذي يثاب قارئه عشر سنوات على الحرف الواحد .

وهذا النبي الكريم ﷺ يشكو يوم القيامة إلى الله سبحانه

قوما تركوا القرآن واشتغلوا في القصص والحكايات وغير ذلك من الأعمال الدنيوية فيقول :

يَرْبِّبَانِ قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ الفرقان : ٣٠ .

ولهجران القرآن الكريم صور منها ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه

الله في تفسير قوله تعالى المذكور : ٣/ ٣١٨ .

- (١) عدم الاستماع إلى القرآن من هجرانه .
- (٢) وترك الإيمان به وترك تصديقه من هجرانه .
- (٣) وترك تفهمه وتدبره من هجرانه .
- (٤) وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه .
- (٥) والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو هو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه . اهـ .

تأملي يا אחتي الفاضلة : حينما يشكو الرسول ﷺ إلى الله سبحانه على هذه الأمة والأمة أمامه سبحانه فماذا يكون جوابنا آنذاك؟ وتفكري أيضاً ! أما يصدق علينا هذه الأقوال كلها بحق ، وهذه الصفات المذكورة تجدونها في الكفرة الفجرة الذين لا يسمون القرآن ولا يتلونونه ولا يستمعون إليه ولا يتدبرونه ولا يفقهونه ولا يمتثلون أوامره ولا يجتنبون نواهيه ، بل يعدلون عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو طرب أو لهر .

أما نجد هذه الصفات كلها في المسلمين اليوم ، نجد الوقت للأفلام والغناء والطرب ولقراءة المجالات الخبيثة ، وما نجد فرصة لقراءة أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنَانًا مُتَشَدِّهَا مَثَانِي تَفْشَعُرُ مِنْهُ

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

يُضِلِلِ اللَّهُ فَهَلْ مِنْ هَادٍ ﴿٣١﴾

أتحبين المشابهة هؤلاء أهل النار يشكوهم النبي ﷺ إلى الله سبحانه يوم يقوم الناس لرب العالمين؟ أو هل إلى رجوع من سبيل؟
ألا ! فاستمعي إلى قول الرسول ﷺ يصف هذا القرآن العظيم كما ذكره الترمذي في سننه عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

«كتاب الله تعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب معه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يملئه الأتقياء ، ولا يخلق (أى ولا يلبى) على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ الجن : ١ - ٢ ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم» . رواه الترمذي والدارمي كإفي المشكاة كتاب فضائل القرآن .

قال تعالى لسيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام : ﴿يا يحيى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ مريم : ١٢ . أى تعلم الكتاب بقوة أى بجد وحرص واجتهاد ، قاله الحافظ ابن كثير .

وذكر ابن كثير تحت الآية المذكورة : قول عبدالله بن المبارك عن معمر : قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، فقال : ماللعب خلقنا ، قال فلهذا أنزل الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ مريم : ١٢ اهـ .

وأقول استجابة لربي جل وعلا ياأختاه ! خذي الكتاب بقوة واحرصي عليه واجتهدي فيه واتخذي تلاوة القرآن عادة لك في

آناء الليل وآناء النهار لأنها شعار المحصنات العابدات لأن هذا هو الكتاب الميسن الذي نزل على الرسول ﷺ وخرجت كلماته من لسانه المبارك صلوات الله وسلامه عليه ، ومن حسن حظك أن يتيسر لك قراءة الكلمات التي خرجت من لسان نبينا الكريم ﷺ .
وعندما يقرأ شخص كتابا لآخر فإن صاحب الكتاب لا شك يفرح ، فلماذا لا يفرح ربنا سبحانه وتعالى وينظر إليك بنظر الرحمة حين تقرئين كتابه سبحانه وتعالى . وصدق الله العظيم :
وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ
يونس : ٦١

قال ابن كثير رحمه الله ٤٢٣ / ٢ : آى إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راؤون سامعون ، ولهذا قال ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » اهـ .

وهذا هو الكتاب الوحيد الذي يكتب لقارئه عشر حسنات على الحرف الواحد ، وهكذا نكتسب ثلاثين حسنة بقراءة ألف لام ميم ، فقط كما في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : آلم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح كما في المشكاة كتاب فضائل القرآن .

واسمعي ياأختي ! والسطر الواحد من القرآن الكريم يشتمل على ٤٠ حرفاً ، ولو تقرئين سطرًا واحدًا منه ستكسبين (٤٠٠) حسنة ، وهذا لا يحتاج لمدة طويلة بل من الممكن أن تقرئي سطرًا واحدًا في نصف دقيقة ، ولو تقرئين الصفحة الواحدة في خمس أو سبع دقائق التي تشمل على خمسة عشر سطرًا

ستكسين ستة آلاف حسنة ويكتبها الملك في نفس الوقت في صحيفة أعمالك .

وتأملي ياأختي ! أن يوما واحدا منك يشتمل على ١٤٤٠ دقيقة وهل لا تستطيعين أن تنفقين منها (٥) أو (٧) دقائق لقراءة كتاب الله والتدبر فيه ، الذي أعطاك من كل نعيم الدنيا ، انظري إلى عينيك وأذنيك وإلى غير ذلك من الأعضاء تستعملينها في الأمور جميعا ، هل تستطيعين أن تعوضي عن هذه ؟ كلا إذن لماذا التسويف والمطل والبخل والطفغيان وأنت لا تخرجين على الأقل (٥) دقائق في اليوم لتلاوة كتاب الله .

واسمعي إلى من يحب سورة من القرآن ويقراها مرارا فما بالك في الذي يحب كل القرآن ويقراه أثناء الليل وأثناء النهار .

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم به قُلْ هو الله أحدٌ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأها ، فقال النبي ﷺ اخبروه : «إن الله يحبهُ» متفق عليه كما في المشكاة كتاب فضائل القرآن .

وعن أنس رضي الله عنه قال : إن رجلا قال يارسول الله ! إني أحب هذه السورة : قُلْ هو الله أحدٌ ، قال : إن حبك إياها أدخلك الجنة» رواه الترمذي وروى البخاري معناه كما في المشكاة فضائل القرآن .

وما أعظم شأن قارئ القرآن تنزل الملائكة من فوق سبع سموات لتسمع صوت القارئ وتدنون منه ، وما يلقاه إلا ذو حظ عظيم ، والدليل على ذلك في الحديث الآتي رواه البخاري ومسلم وأورده صاحب المشكاة في فضائل القرآن وهو :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير رضي الله

عنه قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت ، فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس فأنصرف ، وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، ولما أحره رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال : اقرأ يا ابن حضير ! اقرأ يا ابن حضير ! قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا ، فأنصرفت إليه ورفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : وتدري ماذا قال لا ، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصيححت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم . اهـ .

وفي رواية لهما : فقال - ﷺ - : « تلك السكينة تنزلت بالقرآن » متفق عليه . نفس المرجع المذكور .

قوله : « السكينة » هي الطمأنينة ، وهي تحبب بمعنى الرحمة وبمعنى التأي والوقار ، وقيل : هي ما يحصل به السكون وصفاء القلب وذهاب الظلمة النفسانية وتزول الرحمانية والحضور والذوق . لمعات . أحتي الفاضلة ! ويا باغية الطمأنينة والرحمة والوقار وصفاء القلب والنور ! تبحثين عن هذه الأشياء ٢٤ ساعة في التجارة والوظائف الحكومية وبالمشي في الأسواق والحدائق الظلمات ولا تجدينها ، كلا ولن تجديها حيث تبحثين عنها .

إي والله ستجدنها بل وأحسن منها في ميدان كتاب الله سبحانه الواسع الربيع بقرائه وبالعامل بأحكامه وأوامره واجتناب نواهيه ، وصدق الله العظيم : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل : ٩٧ ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت ، كما ذكرناه من قبل .

أيها الناس ! كذلك كتابنا الكريم القرآن الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ
لِيُنَبِّئَ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

فصلت : ٤٢ .

ألا فاسمعوا يقول ربى فيه :

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٤٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ

التكوير : ٢٥ إلى ٢٨

بَسْتَقِيمَ ﴿٤٨﴾

قال ابن كثير رحمه الله ٤٨١ / ٤ : قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾
أى فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره
ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عزوجل .

وقال قتادة : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أى عن كتاب الله وعن طاعته .
وقوله تعالى ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أى هذا القرآن ذكر
لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون به . ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ﴾ أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له
وهداية ، ولا هداية فيما سواه . اهـ .

ألا ! فلا تفارقوا الكتاب أيها الناس متى وحيث كنتم ،
واقرءوا القرآن على الدوام ولو بالقيام وستجدون بركاته إن
أخلصتم إن شاء الله .

أختى الفاضلة ! من المحتمل أن تجلسي لقراءة سطر واحد
من القرآن وتكسبين منه أربع مائة حسنة ... ولكن ببركة هذا
السطر عسى أن يوفقك الله قراءة صفحة كاملة وتكسبين
(٦٠٠٠) حسنة ، ولعلك لا تصل ذنوبك فى الشهر إلى هذا
العدد ، اللهم وفقنا لثلاثته آناء الليل وآناء النهار آمين .

الصلاة! الصلاة! أيتها الأخوات

يا جوهرة الكون المكنونة ! اعلمي : أن الله عزوجل قد أمر في كتابه للنساء أى أمهات المؤمنين بخمسة أمور منها : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ ﴾ الأحزاب : ٣٣ ، وهذا الأمر ليس مختصاً بأمهات المؤمنين بل يشمل جميع النساء ، فلذا علينا أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة كى نقى أنفسنا من نار جهنم كما ورد في القرآن الكريم : ﴿ فِي جَنَّةٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أى يسألون المجرمين وهم في الغرفات (أى غرفات الجنة) وأولئك في الدرجات قائلين لهم : ﴿ مَسَلِكُكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ، وَكُنَّا نَحُوصُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ المدثر : ٤٠-٤٥

وقال تعالى في آية أخرى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَا ﴾ مريم : ٥٩
قال ابن كثير رحمه الله ١٣٨ / ٣ : ﴿ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾ وإذا أضاعوا الصلاة فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد ، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمئنوا بها فهؤلاء يلقون غيا أى خساراً يوم القيامة .

أختي الفاضلة ! هل لا يصدق علينا اليوم معنى هذه الآية بالحق نضيع صلواتنا لحطام هذه الدنيا ونحن مشغولون في الشهوات النفسانية وفي الكماليات من أمور الدنيا .

وقد قال ﷺ : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر » الحديث رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه كذا في الدر المنثور .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « المرأة إذا صلت خمسها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت » رواه أبو نعيم في الحلية كما في المشكاة باب عشرة النساء .

والصلاة هي التي سأل رسول الله ﷺ عنها مراراً في مرضه الذي توفي فيه بقوله : : « أصلى الناس ؟ أصلى الناس ؟ أصلى الناس ؟ ويقال له ﷺ : لا يارسول الله ! هم ينتظرونك الحديث كما ذكرناه من قبل .

وهي التي كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين جعل يغرغر بها ، وما يفصح بها لسانه .

وعن علي رضي الله عنه قال : كان آخر كلام النبي ﷺ : « الصلاة الصلاة ، واتقوا الله فيما ملكت أيما نكم » كما في البداية ٢٣٨/ ٥ ورواه أحمد والبخاري في الأدب وأبو داود وابن ماجه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر : « لا إسلام لمن لم يصل » الكنز ٤ / ١٨٠ .

فإن قال قائل : إنا نرى المصلين لا يحترزون عن اللغو في الفعل والفضول في الكلام ، بل نراهم يكذبون صراحاً ويغتابون الناس ويعدون فيخلفون وعودهم وينقضون عهودهم ويفعلون المنكرات فما هي الفائدة من مثل هذه الصلاة ؟

فنقول : ذلك لأننا لا نقيم الصلاة حق إقامتها ، ولا نؤديها كما أمرنا ، فلذلك نقع في اللغو والمنكر ، ونرى بعض الناس لا يتوبون من هذه المنكرات إلا إننا نقول : إن الرجل المصلي مهما كان غافلا أحسن من الذي لا يصلي ، ونأمل أن صلاته سوف تنهاه عن المنكرات وتقربه من الحسنات إن شاء الله .

وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق ، فقال : «إنه سينهاه ماتقول» راجع التفسير لابن كثير ٤١٦/٣ .

وقال البغوي روي عن أنس رضي الله عنه قال كان فتى من الأنصار يصلي صلوات الخمس مع رسول الله ﷺ ثم لم يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه ، فوصف لرسول الله ﷺ حاله ، فقال رسول الله ﷺ : «إن صلاته تنهاه يوماً» ، فلم يلبث أن تاب وحسن عمله .

أحتي العزيمة : فالمصلي إذا وقع في معصية لغفلة أو غلبة نفس أو تسلط شيطان فهو يوفق بالندامة على عمله والتوبة عن فعله فيتوب ويستغفر ويستعين بإقامة صلاته القادمة طرفي النهار وزلفا من الليل ، فيتوب عليه ربه ويمحو سيئاته كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ هود : ١١٤ ، خلافا لمن لا يصلي فإنه يزداد في الطغيان والعصيان والبعد عن الرحمن والقرب من الشيطان ، فيلجمه لجام الحمار ويركب عليه ويستحوذ فيدوره حيث شاء من أودية الذنوب والمعاصي .

ثم علينا أن لا نخادع أنفسنا بأن نجترئ على المنكرات والمعاصي

قائلين إنا نصلّي الصلوات بعد السيئات ونكتسب الحسنات بعد اقتراف المنكرات فيصدق علينا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ هود : ١١٤ لأن المخاطبين الأولين يعنى أصحاب النبي ﷺ ما جنحوا إلى المعصية بل رغبوا في الطاعات رغبة زائدة على ما كانوا عليها من قبل شأن العبد الوفي لمولاه .
ثم نقول لمن يجترئ على المنكرات : كيف تتيقن أنك تمهل إلى أن تتوب وتكسب الحسنات ولا يأتيك أجلك قبل التوبة واكتساب الحسنات ؟

فاتق الله ولا تلق بيدك إلى التهلكة ، ولا تضرب بالفأس على رجلك في سبيل الشيطان فتهلك في هذه الهلكة التي وقعت فيها لأنك لا تدري بأي أرض تموت ؟ وبأي حال تموت ؟ ولا تجد الفرصة فيصلى عليك قبل أن تصلي الصلاة لنفسك وتستغفر ربك ، وإنا رأينا بعض الناس يموتون وهم في حالة الزنا ، ورأينا الناس يموتون وهم في حالة السجدة ، وقال ﷺ : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » أى من العمل خيراً كان أو شراً فيجازي به . رواه مسلم وابن ماجه .

وفي الصحيحين : « إذا أنزل الله بقوم عذاباً ، أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم » كما في المشكاة باب البكاء والخوف .
فما تحب من هاتين الحالتين أيها الرجل ! فاخترها لنفسك فإن ربك بالمرصاد وبطشه شديد ، وملك الموت الذي وكل بك يرصدك في كل حين ليتوفاك ويذهب بك إلى مأواك الذي لا يتفع فيه إلا العمل الصالح .

وقال تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾ المنافقون : ١١
وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ يونس : ٤٩ .

فعلينا أيتها الأخت ! أن نصلي الصلوات الخمس بالخشوع والخضوع معرضين عن اللغو والباطل من الأقوال والأفعال في وقت الصلاة وغيرها لكي يصدق علينا قوله تعالى :

﴿ذَٰلِكَ أَفْلاَحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ المؤمنون : ١ - ٣

قال العلماء : الخشوع في الصلاة هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا ، ولا يعمل عبثا ، ولا ينظر إلى الجدران ولا يكف ثوبا ، ولا يلعب بلحيته ولا بشوبه وغير ذلك مما يعتري الذي لا يخشع في صلاته . وقال ابن سيرين رحمه الله : الخشوع : هو أن لا ترفع بصرك عن موضع سجودك .

وقال ابن تيمية : هو واجب من واجبات الصلاة ، ومن فاته كان آثما عاصيا . الفتاوى لابن تيمية ٢٢ / ٥٥٤ .
فمن أراد الخشوع فعليه أن يتدبر هذه الآيات والأحاديث وسيجد إن شاء الله قسطا من الخشوع :

(١) التدبر في القرآن عند استماعه و عند قراءته في الصلاة ، قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا﴾ محمد : ٢٤ والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى . ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء : ٨٢
(٢) الترتيل في القرآن عند قراءته في الصلاة كما قال تعالى : ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ أى انبذه حرفاً حرفاً ، وتلبث في قراءته وتمهل فيها ، وافصل الحرف من الحرف الذي بعده . قاله الضحاك رحمه الله .
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : «لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله» .

(٣) قال تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه : ١٤ ، فظاهر الأمر للوجوب ، والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة .

(٤) قال تعالى : ﴿وَلَا تُكْرَهُ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الأعراف : ٢٠٥ ، وعلى المصلي أن لا يكون غافلاً في الصلاة وغيرها من الأمور عن الله سبحانه ، والصلاة أهم العبادات وأفضلها .

(٥) قال تعالى : ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ النساء : ٤٣ ، تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق المهتم بالدنيا فإذا قرء الانسان شيئاً في الصلاة ولم يعلم فهو غافل مستغرق في شهوات الدنيا وغافل عن الله سبحانه الذي يخاطبه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة : ٤ .

وقال الشاعر :

تخاطبه إياك نعبد مقبلاً على غيره فيها لغير ضرورة
ولو ردّ من نجاك للغير طرفه تميّزت من غيظ عليه وغيره
ألا تستحي من مالك الملك وأن يرى صدودك عنه يا قليل المروءة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها بفعلك هذا طاعة كالخطيئة

(٦) قال ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ : «ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها» .

ولفظ هذه الرواية عند ابن القيم في كتابه «الصلاة وأحكام تاركها» : «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها» والمعنى عنده : إذا لم يعقل في صلاته إلا في جزء واحد كان له الأجر بقدر ذلك الجزء وإن برئت ذمته من الصلاة . وتصديق ذلك في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه باب ماجاء في نقصان الصلاة عن عمار بن ياسر قال سمعت رسول الله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ يقول : «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته

تُسَعْمَا ثَمَنَهَا سُدْسَهَا خُمْسَهَا رُبْعَهَا ثُلُثَهَا نِصْفَهَا» اهـ .
وذلك الأجر حسب قدر الخشوع في الصلاة ، والبعض يعود
صفر اليد من الأجر إذا لم يعقل في الصلاة ولا في جزء واحد ،
وهؤلاء يصدق عليه قوله ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ : «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَصَلُونَ وَلَا
يَصَلُونَ» رواه الإمام أحمد في رسالته : «الصلاة وما يلزمها» .

فالحاصل أن أداء الصلاة بدون وعي وشعور و خشوع وحضور
ماهي إلا صلاة شكلية خداج غير نافعة خالية من الفضائل
والبركات المذكورة في السنن والآثار للمصلين .

انظري يا أختاه : إلى حوضك في أعمال الدنيا ، كيف تسعين
وتجتهدين في الحصول عليها وتغفلين عن رب الأنام .

وإليك مثال بسيط حينما تستمعين إلى الهاتف وتتكلمي
مع الآخر فتتوجهين إليه توجهها تاماً وتهتمي به ، ولا تريد أن
يختلط صوت غيرك بكلامك حتى لا تلتفتين يميناً ولا شمالاً
إذا كان هناك كلام هام على الهاتف ، هذا هو أسلوبك مع صاحبك
في التكلم والاستماع فتستمعين إليه كل الاستماع ، وهذا ربك
تناجينه وتدعينه ولا تدري ماذا تقولين ؟ وبماذا تخاطبينه؟
فستان بين كلام العبد وكلام خالق العبد يا أبا العجب .

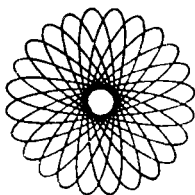
فلماذا لا تسلكين نفس الأسلوب في الأعمال الدينية في
العبادات والعقيدة ، فكأنك ترجحين الدنيا على الدين قال تعالى :
﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾
سورة الروم : ٧ .

وقال تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

الماعون : ٤ - ٥

تذكر حالتك أيها المصلي ! قبل الصلاة وبعد أدائها هل رأيت فيك تغيُّراً ؟ هل هناك تغير بين ذهابك إلى المسجد وإيابك منه ؟ وهل أمرتك صلاتك بالمعروف ونهتكَ عن الفحشاء والمنكر والشهوات بأنواعها ؟ إن لم يكن فلماذا ؟

وتذكر قول النبي ﷺ : «يوشك أن تدخل مسجد الجامع فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً» أخرجه ابن ماجه بسند صححه الألباني حفظه الله . وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ومن أراد البسط في الخشوع في الصلاة فعليه أن يطالع كتابنا «أين الخاشعون في الصلاة» المطبوع بالمدينة المنورة بمطابع الرشيد .



الحجاب ! الحجاب ! قبل العذاب يا أختاه !

أختي العزيزة ! في هذه الأمور الخمسة التي أنزلها الله تعالى
 لأمهات المؤمنين ولك من فوق سبع سموات نجد فيها حكم
 الحجاب ، ونزول حكم الحجاب يدل على عظمة شأنك ورفعة
 مكانتك في الإسلام كى لا ينظر إليك شرار الخلق وقليلو الحياء
 وأرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام إلى نبيه ﷺ بهذا
 الحكم قائلاً يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَكَ
 عَلَيْهِنَ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ
 اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

الأحزاب : ٥٩

قال ابن كثير في تفسيره : ٥١٩ / ٣ : يقول تعالى أمراً رسوله
 ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات - وبخاصة أزواجه وبناته
 لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبن ليميزن عن سمات
 نساء الجاهلية وسمات الإماماء .

وذكر بعد قليل عن ابن عباس قوله : : أمر الله نساء المؤمنين إذا
 خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق
 بعوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة .

قوله : ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ الأحزاب : ٥٩ ، أى إذا
 فعلن ذلك عرفن أنهن حرائر ، لسن إماماء ولا عواهر .

وقال السدي في تفسير قوله تعالى : كان ناس من فساق أهل المدينة

يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة ، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطريق يقضين حاجتهن ، فكان أولئك الفساق يستغنون ذلك منهن ، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا : هذه حرة فكفوا عنها ، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا : هذه أمة فوثبوا عليها .

فعلم من ذلك أن عدم التستر والحجاب كان هو شعار الأماء والعواهر لا الحرائر من المسلمات ، وأيضاً هو شعار الجاهلية الأولى . ومن تشبه بقوم فهو منهم .

كما بين الله تعالى آداب نساء النبي ﷺ ومن ضمنها نساء الأمة وهن تبع لهن في ذلك فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ الأحزاب : ٣٣ قال مجاهد . كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فتلك تبرج الجاهلية .

وقال مقاتل : والتبرج أنها تلقى الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقربطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها . قال المؤلف : ومن اتصفت من النساء بهذا الوصف المذكور فهو مصداق هذه الآية من كن وحيث كن من المسلمات وغيرهن .

واعلمي ياأختي ! أن العلماء قالوا : الحجاب للمرأة المسلمة شعار الاسلام ، ولباس التقوى ، وسياج الإجلال والاحترام ، وبرهان الحياء والاحتشام .

والحجاب الشرعي يحفظ النساء من أذى الفساق . والحجاب الشرعي يصون فتياتنا من أنظار الذئاب البشرية المسعورة التي لا هم لها إلا اصطياد العافلات المؤمنات والنظر إليهن نظر اغراء ومهاترة .

والحجاب الشرعي يجعل أخواتنا في حصن الحشمة والوقار عند خروجهن لقضاء بعض حاجاتهن .

وأما السفور فعاقبته وخيمة وآلامه جسيمة وأخطاره عظيمة ومخازينه كثيرة ومساويه معلومة ، وهو تقليد أعمى للكفار والمفاربة .

لقد عرف المسلمون المتمسكون بدينهم من هذه الآيات أى :
﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ النور : ٣١ ، و ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ الأحزاب : ٣٣ و ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ الأحزاب : ٥٩ أن الحجاب فرض على نساء المؤمنين وأنه فرض أكيدا وأنه أوصى كل واحدة أن تستر جسمها سترًا تاما .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا يمنع المرأة المسلمة إذا كان لها حاجة أن تخرج في أظمارها أو أظمار جارتها مستخفية لا يعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها» .

وهذه السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تغطي جسدها بشدة في إحاطة البيت حياء من عمر لأنه مدفون في بيتها رضي الله عنهما .

كما في رواية لأحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وإني راضع ثوبي وأقول : إنما هو زوجي وأبي ، (أى مدفونان فيه) ، فلما دفن عمر معهم فوالله مادخلته إلا وأنا مشددة عليّ ثيابي ، حياء من عمر» .
كما في المشكاة باب زيارة القبور .

فانظري أيتها الأخت ! إلى البنت المسلمة في الوقت الحاضر

كيف يجذبها سيل السفور وعدم الحياء إليه مثل القاذورة ؟ أين حياء وحجاب والدتها وأين حياء وحجاب هذه البنت العصرية ؟ وما أحسن قول القائل باللغة الأردية وترجمته : كيف تتولد وتنبت رائحة أسوة الوالدين الصالحين من الطفل الذي يشرب اللبن الجاهز من العلب ويتعلم العلم الظاهري الحكومي الرائج ولا يتعلم العلم الدين الاسلامي الفائق .

استمعي ياأختي إلى خطبة الصحابية الجليلة أسماء بنت زيد ابن السكن الأنصارية ، تصور لنا بها حالة المرأة المسلمة في العهد الإسلامي ، وما هي عليه من عفة وصيانة وابتعاد عن مواطن التهم والشبهة والاختلاط تقول هذه المرأة لرسول الله ﷺ : «يارسول الله ! إني رسول من ورايبي من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأيي ، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يارسول الله !؟ فالتفت رسول الله ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال : سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟ فقالوا : بلى والله يارسول الله !

فقال رسول الله ﷺ : انصرفي ياأسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقته يعدل كل ماذكرت للرجال ، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله ﷺ . رواه ابن عبد البر في الاستيعاب .

وقد عين ﷺ يوماً خاصاً للنساء يعلمهن فيه مع شرف المكان وطهارة النفوس وشرف القصد وهو العلم والإرشاد ، فهل تبقى بعد ذلك كلمة لدعاة السوء دعاة الاختلاط وهم أبواب الفتنة ومصادر البلاء في المجتمع ومن حيلهم الخبيثة ومكرهم السيء دعوتهم للاختلاط في المدارس الابتدائية بين الصغار بدعوى أنهم صغار لا يفهمون شيئاً ، وبدعوتهم للاختلاط بين الرجال والنساء في مقاعد التعليم في الجوامع والكليات والتوظيف في الشعب الحكومية ليعملن مع الرجال سواء بسواء من غير حجاب ، بدعوى أن يضبط كل واحد منهما على نفسه ، فإذا وجد الضبط والصر فلا مانع من مخالطة النساء مع الرجال إذاً ، وهم إنما أرادوا بهذا التمهيد لبناء جيل ميت القلب ، فاقد الرجولة والغيرة وليجد في نفسه أخلاق الخنازير وطباع البهائم الممقوتة وصدق الله العظيم : ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ لَكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف : ١٧٩ .

وقال : ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ الفرقان : ٤٤ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» رواه أبو داود في سننه باب صف النساء والتأخر عن الصف الأول . اسمعي يا أختي العزيزة ! إذا كان ابتعاد الرجال من النساء وابتعاد النساء من الرجال محموداً ومحبولاً في صفوف الصلاة مع أن الصلاة تمنع الإنسان عن التوجه إلى المعاصي وتكفنه عن النظر السيئ ، فكيف لا يكون هذا الابتعاد محموداً في غير الصلاة ؟ وكيف لا يكون الاختلاط بين الرجال والنساء مذموماً ومكروهاً .

وإننا نرى النساء في الأسواق خائضات في جموع الرجال
وجالسات على مقاعد التعليم في الجوامع والكليات من غير
حجاب . وإنهن يطلبن التوظيف في الشعب الحكومية ليعملن
مع الرجال سواء بسواء وهذا ليس من الإسلام في شيء .
وقد أشاع أهل أوروبا أعداء الدين الإسلامي أن النساء مساويات
للرجال في كل شيء ، وهذا جهل منهم ، وإنما قالوا ذلك لحظوظ
أنفسهم وجعلوا المرأة لعبة ، والمرأة التي لا علم لها بمصلحتها
تظن لسفاهتها أنهم صعدها مدارج الكمال مع أنهم أنزلوها
عن رتبة الإنسانية وجعلوها كالبهيمة يستمتع بها في الأسواق
والطرق أعاذنا الله تعالى من ذلك .

وحكى لنا أحد شيوخنا قصة في أثناء محاضراته التي ألقاها
على عامة الناس حيث قال : كنا في سفر مع الرفقاء بالقطار ، إذ
طلع علينا رجل شديد بياض اللون وشديد بياض القميص
والقلادة والبنطلون ، وجلس أمام مقعدي ، وكنت في مطالعة
كتابي وهو ينظر إليّ مرة بعد أخرى ، فإذا ألقيت عليه النظر
كأنه منتظر نظري فقال لي : أيها الشيخ ! أظن أنك من أهل
العلم والدين ، أريد سؤالك فهل تسمح لي أن أسأل ؟ قلت :
أبشر ولا تخف ، فقال هل صحيح أن الإسلام لم يسمح أن
تخالط النساء الرجال في التعليم والوظائف بدون حجاب ؟ قلت :
نعم ، قال : لماذا ؟ قلت : لأنه ممنوع في الإسلام وبئنت له
النصوص الشرعية في هذا الباب حتى طال القيل والقال ، ثم
قال لي في الأخير : على الإنسان ضبط نفسه فإذا وجد الضبط
والصبر فلا مانع من مخالطة النساء مع الرجال إذا ، وما زال يكرر

هذه الكلمة - أي الضبط - مرة بعد أخرى ، فقلت في نفسي : هذا من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج : ٤٦ ، فلا يستقيم بالنصوص الشرعية أبداً فاخترت طريقة أخرى وأخرجت الليمون الذي كان في زنبلي معي والسكين وقطعته قطعتين أو ثلاثة فقلت له : عليك بالصدق ولا تقل إلا الحق ، هل حصل الماء في فيك من غسل عملته أمامك ؟ قال : نعم ، قلت : أين الضبط على نفسك والصبر وتكرره مراراً ؟ الليمون في يدي والسكين ^ وقطعته بنفسني فلماذا الماء في فيك ؟ قال : لا بد من حصول الماء في الفم حينما ينظر أحد إلى شيء حامض وهو يقطع أمامه فقلت : هكذا إذا كانت العيون أربعاً ويكون السمن أمام الشمس فلا بد من ذوبانه ، ولا بد من الفساد في العالم ، لأن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم . ﴿قَبْهَتِ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة : ٢٥٨ .

اعلمي ياأختي ! أن الحجاب ليس سقماً للمرأة ولا سجننا إنما هو زينة لها يكسبها عثمة ووقاراً ، فإن كان في الحجاب تأخر للمرأة فإنه تأخر محمود لأنه تأخر عن حضارة الجاهليين وفتنة الضالين .

وصدق شاعر المشرق العلامة محمد إقبال الباكستاني في اللغة الأردية بالنسبة للحضارة الحديثة الخبيثة وأهلها وهذا ترجمته : قال : ان بيض هذه الحضارة الحديثة الخبيثة - أراد به أهلها - قدرة ووسخة ومننتة ، خذوهم وامسكوهم أيها الناس ! وارموهم في الشوارع أو في براميل القمامة . اهـ .

أراد بذلك أنه لا يستفاد من هؤلاء إلا الضلالة والذلة والهوان .
وقال الشاعر الهندي «أكبر إله آبادي» في الحضارة الحديثة ماترجمته :
ليس في اختيار الحضارة الحديثة والعمل بأوامرها تعب
ومشقة شديدة ، بل تبقى الأديان والمذاهب على حالها لمن
أختارها ولا يخرج من قلوبهم إلا الإيمان واليقين . اهـ .
معناه : أن أهل الحضارة الحديثة يقولون بألسنتهم : نحن
مسلمون ، ولكن الإيمان قد خرج من قلوبهم وهم لا يعرفون ،
وصاروا كما قال تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي
قُلُوبِهِمْ ﴾ الفتح : ١١ .

ثم قال في البيت الثاني ماترجمته : بقيت العقارب والحيات
والدود في شكل الإنسان التي تلدغ الآخر ، ولا تجد شيئاً من
الإنسانية في هذه الحضارة الحديثة وأهلها . اهـ .

وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوماً بين
أصحابه : «ماخير للنساء؟» فلم يُدر مايقال ، فذهب علي رضي
الله عنه إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت : فهلا قلت له :
«خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يروهن» ، فرجع علي فأخبر
الرسول ﷺ بذلك فقال له : «من علمك هذا؟» قال :
«فاطمة» قال : «إنها بضعة مني !!» أي جزء منه ﷺ معارف
القرآن ٧ / ٢١٦ .

وقد جاء في الحديث : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من
حديد خير له من أن يممس امرأة لا تحل له» رواه الطبراني عن معقب
ابن يسار وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .
وفي حديث آخر : لأن يزاحم الرجل خنزيراً متلطخاً بطين

أو حمأة خير له من أن يزاحم منكبه منكب امرأة لا تحل له .
فكفري ياأحتي فيما تخبر عنه سيدتك الزهراء بأن الخير
للنساء في أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال ، فأى حياء أعظم
من هذا الحياء ، ولا خير للنساء إلا أن يبعدن عن ساحة الرجال ،
وأن يبعد الرجال عن ساحتهم .

قال الإمام الذهبي في الكباثر ص ١٧٦ : وأعظم ماتكون المرأة من
الله ماكانت في بيتها ، وفي الحديث أيضا : المرأة عورة ، فاحبسوها في
البيوت ، فإن المرأة إذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدن ؟
قالت : أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى
تخرج عن دارها .

وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها ، وتعبد
ربها ، وتطيع بعلمها .

وقال علي رضي الله عنه لزوجته فاطمة رضي الله عنها :
يافاطمة ماخير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها .
وكان علي رضي الله عنه يقول : ألا تستحون ، ألا تغارون ؟ يترك أحدكم
إمرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم وينظرون إليها !

وكانت عائشة وحفصة رضي الله عنهما يوماً عند النبي ﷺ
جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم ، وكان أعمى ، فقال النبي ﷺ
احتجبا منه ، فقالتا : يارسول الله ! أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا
يعرفنا ؟ فقال ﷺ : أفعمياوان أنتما ألتما تبصرانه» رواه
أبو داود والنسائي والترمذي . اهـ من الكباثر للذهبي ص ١٧٧ .

سمعنا أن بعض الأخوات تقول : أن الحجاب هو الحجاب الباطن
فإذا كان الحجاب في الباطن - أى في القلب - فلا حاجة إلى
الحجاب الظاهري .

نقول لهؤلاء الأخوات : إن الصديد إذا يخرج ويسيل من داخل
 البشرة ، كيف نقول أن باطن البشرة هو سليم وصحيح ؟ ولا
 فساد في داخلها ؟ كذلك إذا صدر الذئب من أحد أو النظر إلى
 الأجناب من الرجال والنساء مع أنه سبحانه وتعالى قال :
 أَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ آبَائِهِمْ وَبِحَفْظُوا أَرْوَاجَهُمْ . وقال :
 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَبِحَفْظَنَّ فُرُوجَهُنَّ . النور : ٣١ فيعرف من
 ذلك أن باطنه فاسد وإلا فلا يرتكب المعصية ولا يتعدى
 حدود الله سبحانه .

وفي الحديث : العينان تزنيان وزناهما النظر ، ولا شك فيه لأن
 أهل الفراسة الصادقة يشاهدون هذه الآثار - أي آثار الزنا - بين
 عيني الناظر وإن خفيت على غيرهم .

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يحكي قصته ، يقول : دخلت
 على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكنت قد رأيت امرأة في
 الطريق ومن غير قصد ، فقال عثمان : يدخل أحدكم وآثار الزنا
 بين عيني ، فقلت : أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
 قال : لا . ولكن فراسة صادقة .

قال الراقم : وهو رضي الله عنه برىء من هذه الفرية كبراءة
 الشمس من اللمس ، وكبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ،
 لأنه يقول : «رأيت امرأة (أجنبية) في الطريق ومن غير قصد»
 وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب ، ولا فائدة له في
 بيان هذه القصة التي تظهر من بيانها العيب لنفسه ؟ فإذا كان
 هذا حال صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رأى امرأة أجنبية
 ومن غير قصد ، فما بالك أيتها الأخت ! في اللاتي

يحبين الاختلاط بين الرجال والنساء في مقاعد التعليم في
الجوامع والكليات والتوظيف في الشعب الحكومية ليعملن مع الرجال
سواء بسواء من غير حجاب ؟ أتعلمى أبصار الرجال والنساء عند
الاختلاط والعمل فيما بينهم ؟ والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا
بالله .

وذكر الذهبي رحمه الله في الكبائر ص ١٧٧ : فكما أنه ينبغي
للرجل أن يغض طرفه عن النساء ، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض
طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها : إن
خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها .

فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولأجل حمام
ونحوه مما لا بد لها منه ، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في
ملحفة وسخة في ثياب بيثها ، وتغض طرفها في مشيتها ،
وتنظر إلى الأرض لا يمينا ولا شمالا ، فإن لم تفعل ذلك وإلا كانت
عاصية .

وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا ، وكانت
تخرج من بيتها متبرجة ، فماتت فرأها بعض أهلها في المنام ،
وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق ، فهبت ربح
فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوا بها ذات الشمال إلى
النار فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم أنا وفاطمة رضي الله عنها ، ووجدناه يبكي بكاء شديداً ،
فقلت له : فذاك أبي وأمي يارسول الله ! ما الذي أبكاك ؟ قال :
ياعلي ليلة أسري بي إلى السماء ، رأيت نساء من أمتي يعذبن

بأنواع العذاب ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويدها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بشدييها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير ، وبدنها بدن حمار ، عليها ألف ألف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب ، والنار تدخل من فيها ، وتخرج من دبرها ، والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار . فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت : حبيبي وقرّة عيني ! ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يا بنيتة ! أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال ، وأما التي كانت معلقة بلسانها ، فإنها كانت تؤذي زوجها ، وأما المعلقة بشدييها ، فإنها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التي تشد رجلاها إلى ثدييها ويدها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب ، فإنها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزيء بالصلاة .

وأما التي رأسها رأس خنزير ، وبدنها بدن حمار ، فإنها كانت نمامة كذابة .

وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فإنها كانت منانة حسادة . انتهى ما ذكره الذهبي في الكبائر . اذكرني أيتها الجوهرة المكنونة ! ما عليه أخواتك اليوم من الرغبة والشهوة الملحة في النظر إلى الأجانب ، والحديث معهم ، والاتصال بهم ، والإختلاط معهم في مقاعد التعليم في الجوامع والكليات ، والإختلاط معهم في الوظائف في الشعب الحكومية

وغيرها ، والإختلاط معهم في الشوارع والأسواق والمساجد وعلى شاشة التلفزيون والفيديو ، وتزاحم المنكب بالمنكب ، بل اليد في اليد عند التحية ، وفي وفي ولهذا ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس .

هذا ما نسمع ونراه في حياة المسلمين اليوم إلا ما شاء الله ، وأذكر الآن حكم شريعتنا الغراء وآدابها ، فانظري الفرق بين هذا وذاك يا أختاه !

وقد ذكر الجزري في النهاية نهي رسول الله ﷺ أن يخضع الرجل لغير امرأته أن يلين لها بالقول بما يطمعها منه .

وذكر أيضا في النهاية : أن رجلا مرَّ في زمان عمر رضي الله عنه برجل وامرأة قد خضعا بينهما حديثا فضربه حتى شجه فأهدره عمر رضي الله عنه .

قوله : «خضعا» أي لينا بينهما الحديث وتكلما بما يطمع كلا منهما من الآخر . اهـ .

وقال ابن تيمية في الفتاوى ٢٨ / ٣٧٠ : وكذلك الشر والمعصية : ينبغي حسم مادته ، وسد ذريعته ، ودفع ما يفضي إليه ، إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة .

مثال ذلك ما نهى عنه النبي ﷺ فقال : «لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان» .

وقال : «لا يحمل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يومين إلا ومعها زوج أو ذو محرم» ، فنهى صلى الله عليه وسلم عن الخلوة بالأجنبية ، والسفر بها ، لأنه ذريعة للشر .

وروى عن الشعبي : أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ ، كان فيهم غلام ظاهر الوضوء ، فأجلسه خلف ظهره وقال : «إنما كانت خطيئة داود النظر» .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان يعسُ بالمدينة ، فسمع امرأة تتغني بأبيات تقول فيها :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها

هل من سبيل إلى نصر بن حجاج

فدعى به ، فوجده شاباً حسناً ، فحلق رأسه فازداد جمالا ، فنفاه إلى البصرة ، لئلا تفتتن به النساء .

وروى عنه : أنه بلغه أن رجلا يجلس إليه الصيَّان فنهى عن مجالسته . انتهى ما ذكره ابن تيمية في الفتاوى ٢٨ / ٣٧٠ .

وروى الطبراني بسند حسن عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ نهى أن يتكلم النساء إلا بإذن أزواجهن .

وروى الدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه نهى أن يتمطى الرجل في الصلاة أو عند النساء إلا عند

امراته أو جواريه : كما في التفسير المظهرى ٧ / ٣٣٧-٣٣٨ هذه آداب شريعتنا الغراء ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها نساء الأمة جميعا ومرجع هذه الآداب هو قوله سبحانه :

﴿ إِن أَنْتَقِيَنَّ فَلَائِحَ فِئْتِنَا يُؤْمِنْنَ بِالْقَوْلِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ ، مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

الأحزاب : ٣٢

قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : ﴿فَلا تُخَضِّعْنَ بالقول﴾ يعني بذلك تزيق الكلام إذا خاطب الرجال ، ولهذا قال الله تعالى ﴿فَيطمَع الَّذي في قلبه مرضٌ﴾ أى دغل ، ﴿وقُلْنَ قَوْلًا معروفاً﴾ قال ابن زيد : قولا حسنا جميلا معروفا في الخير ، ومعنى هذا أنها تحاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أى لا تحاطب المرأة الأجانب كما تحاطب زوجها اهـ .

فإن المؤمن الكامل هو الذي مطمئن بالإيمان ، ويرى برهان ربه لا يطمع فيما حرمه الله ، والذي إيمانه ضعيف كان فيه شائبة النفاق يشتهي إلى ما حرم الله عليه .

وقال العلماء : المرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الإطماع .

وتقول العرب : « لا يحفظ المرأة إلا بيتها أو قبرها أو زوجها » ونعم ما قالوا .

ومثال ذلك في قصة ذكرها الهيثم بن عدي حيث قال : قدمث امرأة مكة ، وكانت من أجمل النساء ، فنظر إليها عمرُ بن ربيعة ، فوقعَ في قلبه - أى أعجبه - فكلّمها فلم تجبه ، فلما كان في الليلة الثانية تعرّض ، فقالت : إليك عني - أى ابتعد - ! فإنك في حرم الله !؟ وفي أيام عظمة الحرمة !؟ فألحَّ عليها ، فخافت الشُّهرة فقالت لأخيها في الليلة الثالثة : اخرج معي فأرني المناسك ، فتعرض لها عمر ، فلما رأى أحاها معها أعرض عنهما ! فتمثلت بقول الشاعر :

تعدو الذئاب على من لا كِلاب له

وتتقي صَوْلَةَ المستأصِد الضَّاري

ثرى ما أثر هذا الخبر في نفسك !؟ لقد سمعه أبو جعفر المنصور فقال : وددت أنه لم يبق فتاة من قريش إلا سمعت بهذا الخبر . فانظري أيتها الأخت ! ماذا تيسر لك من هذه الأشياء الثلاثة؟ إذا كان لك زوج فاسأليه هل هو يحفظك من الحضارة الحديثة الخبيثة ومن الإقتداء بأعداء الدين في جميع شؤون حياتك كما هو شعار الأنبياء والصالحين ؟

وأسألي كذلك من أبويك هل هما يحفظانك من اقتداء اليهود والنصارى أو يلقىانك في هذه التهلكة؟ كما هم يتمنون أن تكون انتهم في التقدم الحديث والرقي، كلكن تسألنهم ماذا يجيب هؤلاء المسئولون على صيانتك وطهارتك وحفظانك من الأثر السيئ؟ وإلا فيحفظك ويصونك أو يخلط أضلاعك قبرك غدا أو اليوم فانتظري قليلا .

قال الشاعر الهندي «أكبر إله آبادي» في مثل هؤلاء الذين يتمنون أن تكون انتهم في التقدم الحديث والرقي، ويمنعونها عن الحجاب والتستر أمام الأجانب فيقول :

ساءهم أن يروا انتهم محتجبة مصونة نظرا إلى التقدم الحديث فشجعوها على نزع الحجاب والجري في مستنقع التقدم، فلما نزعتم جلاب الحياء، تركت المنزل وذهبت مع رجل خبيث، وتركت أهلها محزونين، ولم تعد حتى الآن .

وصدق الله العظيم : ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ النور : ٢٦ .

وصدق رسوله الكريم ﷺ : «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» . اللهم احفظ بناتنا من هذا التقدم الذي سبب الذلة والهون للوالدين والأقربين ولديننا المبين آمين .

ويصحح الشاعر «أكبر» صيحة ويقول في أبياته الشعرية ما ترجمته :

يقول : عندما بدأت لي - أى لأكبر - بعض بنات المسلمين كاسيات عاريات وبدون الحجاب والتستر، كاد أن يلج «أكبر» في الأرض ويدس نفسه في التراب من غيرة دينية وحمية ملية .

فسألتُ يابناتي المسلمات : أين الحجاب والتستر الذي أنزله الله من فوق سبع سموات لصيانتكن من أنظار الذئاب البشرية ؟ فأجابت البنات في الفور وقلن : وقع الحجاب والتستر على عقول الرجال من آباءنا وأزواجنا وإخواننا يا أكبر ! بدل ما يقع الحجاب على وجوهنا وجيوبنا وزينتنا .

ويصف لنا هؤلاء ويقولون : إن الحجاب ظلم وسجن وسقم ، وتأخر للمرأة فأتركنه ، فتركناه امتثالاً بأمر المسؤولين ، وليس لنا فيه من الذنب ، لو يأمرنا الرجال بالحجاب كيف نجتري على الخروج سافرات عاريات ؟

فيأسفى على هؤلاء المسؤولين المسلمين من العرب والعجم ! أين ذهبت عقولهم ؟ وأين دفنت قوة إيمان هؤلاء الذين يتمنون ويدعون لأنفسهم ولذرياتهم وأزواجهم للرقى والتقدم الديني الذي لا تقر به العيون كما كان حقها ؟ ولا يدعون لهم ولا لأنفسهم للرقى والتقدم الأخروي الذي تقر به العيون كما كان حقها وكما هو من صفات عباد الله المخلصين بقولهم :

رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

الفرقان : ٧٤

ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ٣٣١ / ٣ : وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال : أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله ، لا والله ! لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً أو ولداً أو أخاً أو حميماً مطيعاً لله عزوجل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعنون من يعمل بطاعة فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة .

وقال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أى هداة مهتدين دعاة إلى الخير ، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا ، وأحسن مآباً :

ولهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : ولد صالح يدعو له ، أو علم ينتفع به من بعده ، أو صدقة جارية» انتهى ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

أختي العزيزة ! هل نجد صفة الصالحين هذه في آبائنا وأزواجنا اليوم ، وهل يسأل هؤلاء أنفسهم ويقولون هل تركنا أولادنا وذرياتنا صالحين الذين يدعون لنا بعد الموت حينما ينقطع عمل العاملين لينتفعوا بدعوتهم لهم .

أما قولك أيتها الأخت : كيف نجترى على الخروج بدون حجاب سافرات عاريات لو يمنعنا الرجال من آبائنا وأزواجنا وإخواننا ؟ هذا ليس بسديد بعدما صرت عاقلة وبالغة ، ولا يفيدك أبوك ولا زوجك ولا أخوك يوم القيامة شيئا والذي تتحولين بأمره في الشوارع سافرة ، وتخالفين أمر الله ورسوله ﷺ ، ستسألين عن أعمالك تلك في ذلك اليوم ، وهذا الجواب لا يفيدك يوم تجد كل نفس ما عملت حاضرا ، ﴿أَلَا تَنْزَرُ وَأَنْزَرُ وَرَزَّ أَلَا تَنْزَرُ﴾ . ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ النجم ٣٨-٣٩ . ألا ترين ! أن في الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى

كل من أولى العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول : نفسي نفسي ،
لا أسألك اليوم إلا نفسي هذا هو حال أولى العزم من الأنبياء ،
فكيف بك يا أمة الله وبأبيك وأخيك وزوجك الذي أضلك عن سبيل الله .
تفكرى يا أختي ؟ يحذر الله عباده من خزي ذاك اليوم بقوله :
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ^{٣٦} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ^{٣٧} وَصَجِيهِ ^{٣٨} وَبَنِيهِ ^{٣٩} لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ^{٤٠}

عيس : ٣٤-٣٧

قال ابن كثير في تفسيره ٤٧٤ / ٤ : أى يراهم ويفر منهم
ويتبعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل .

قال عكرمة : يلقي الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه ! أي بعل
كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت ، وتثنى بخير ما
استطاعت ، فيقول لها : فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة
تهبينها لي لعلني أنجو مما ترين ، فتقول له : ما أيسر ما طلبت
ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا ، أتخوف مثل الذي تخاف .
قال : وإن الرجل ليلقي ابنه فيتعلق به فيقول : يا بني ! أي
والد كنت لك ؟ فيثنى بخير ، فيقول له : يا بني ! إنني أحتجت
إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلني أنجو بها مما ترى ، فيقول
ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ، ولكني أتخوف مثل الذي
تتخوف فلا استطيع أن أعطيك شيئا . انتهى ما ذكره ابن كثير
رحمه الله .

فعلبك أيتها الأخت ! أن تتخذي السيدة آسية امرأة فرعون
أسوة لك عندما يأمرك أبوك أو أخوك أو زوجك بمعصية الله ورسوله
صلوات الله وسلامه عليه .

انظري إلى قوة إيمانها بالله وعزمها الأكيد أمام قوى الجبروت

والطغيان الذي وتد لها الأوتاد في يديها ورجليها فتحملتها
وفدت بنفسها في سبيل الله من ظلم بعلمها ، ولكن مارضيت
بمعصية الله بقول زوجها الملك الظالم الذي كان يقول في
نفسه ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ النزاعات : ٢٤ ، فخلد الله ذكرها في
القرآن ، وضرب الله بها مثلاً للذين آمنوا قائلاً :

وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ

وَعَمَلَيْهِ وَنَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ التحريم : ١١

وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٤٥ في تفسيره : أخرج أبو
يعلى والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فرعون
وتد لأمرته أربعة أوتاد في يديها ورجليها ، فكانوا إذا تفرقوا
عنها أظلتها الملائكة عليهم السلام ، فقالت : رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ، فكشف لها عن بيتها في الجنة .

وأخرج عبد بن حميد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فرعون وتد
لأمرته أربعة أوتاد ، وأضجعها على صدرها وجعل على صدرها
رحى واستقبل بها عين الشمس ، فرفعت رأسها إلى السماء
فقالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة - إلى قوله - ظالمين ،
ففرج الله عن بيتها في الجنة فرأته . نفس المرجع .

أختي المسلمة ! اجعلي حياة السيدة آسية قدوة لك ،
واتركي العصيان وارجمي إلى ربك طوعا أو كرها ، وتأملي كيف
تحملت عذاب زوجها الملك الظالم فرأت في حياتها بيتها في
الجنة وورثتها رضي الله عنها .

الحذر الحذر من تشبه الرجال يا بنات حواء!

ذكر الإمام الذهبي في الكباير ص : ١٣٤ : وقال :
في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : لعن الله المتشبهات من
النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء .
رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عباس .
وفي رواية : لعن الله الرجل من النساء . قال المصنف في رسالته
الصغرى إسناده حسن كما في الكباير للذهبي ص ١٣٤ .
وفي رواية قال : لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من
النساء يعنى اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم . عزاهما
في الترغيب والترهيب للبخاري من حديث ابن عباس كما في الكباير ص ١٣٤ .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لعن
الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة . رواه أبو داود
والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم
(ترغيب) كما في الكباير نفس المرجع المذكور .

فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام
الضيقة ، فقد شابته الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله -
ﷺ - ولزوجها إذا أمكها من ذلك ، أى رضي به ولم ينهها لأنه
مأمور بتقويمها على طاعة الله ، ونهيا عن المعصية لقول الله تعالى :
﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ التحريم : ٦
أى أدبهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهؤهم عن معصية الله

كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم . ولقول النبي ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الرجل راع في أهله ومسئول عنهم يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر كما في الكبائر للذهبي .
وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : «ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء» أخرجه مسلم وغيره كما في الكبائر للذهبي ص ١٣٤ .
وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوي إلا أكبه الله تعالى في النار .

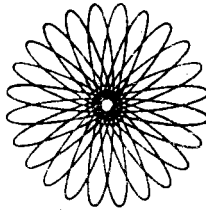
وقال ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا . أخرجه مسلم .
قال الذهبي : قوله : «كاسيات» أى من نعم الله عاريات من شكرها ، وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها .
ومعنى مائلات : قيل عن طاعة الله وما يلزم حفظه ، مميلات : أى يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل : مائلات متبخرات مميلات لأكتافهن ، وقيل : مائلات : يمتشطن المشطة الميلاء ، وهي مشطة البغايا ، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة . رؤوسهن كأسنمة البخت : أى يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوها .
قاله الذهبي رحمه الله .

وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبدالله بن عمرو عند الزبير بن عبدالمطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً ، فقال عبدالله ابن عمر : أرجل أنت أم امرأة ؟ فقالت : امرأة ، فالتفت إلى ابن عمرو فقال : «إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات

من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء .
ومن الأفعال التي تلعب عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ
من تحت النقاب ، وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ،
ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقوية القصار مع تطويل الثوب
وتوسعة الأكمام ، وتطويلها إلى غير ذلك إذا خرجت ، وكل ذلك من
التبرج الذي يمقت الله عليه ، ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة ، وهذه
الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء .

قال عنهن النبي ﷺ : اطلمت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء .
وقال ﷺ : ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من
النساء .

فנסأل الله أن يقينا فتنته وأن يصلحنا وإيانا بمنه وكرمه . انتهى ما
ذكره الذهبي في الكبائر ص ١٣٤ - ١٣٥ .



الرزق الحلال هو سيد العبادات فاختريه لنفسك يا أختاه!

أختي الفاضلة : اهتمي بالرزق الحلال ، لأن له تدخلا شديدا في تربية الأولاد ، والرزق الحلال هو سيد العبادات ، والجسد الذي تربى برزق حلال يكون محفوظا من نار الجحيم التي وقودها الناس والحجارة ، لو يأخذ أبوك أو زوجك أو ابنك الرشوة أو الربا انصحى لهم وامنعهم عن ذلك وعن المال الحرام من أي مكسب كان إذا رأيت وقولي لهم : يازوجاه ! ويا أبتاه ! نعيش على خبز قفز وجاف ، ولا نأكل المال الخبيث لأن الخبيث للخبيث والطيب للطيب .

وذلك شعار الزوجة الصالحة المؤمنة التي تعين على إيمان زوجها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفضله لسان ذاكِر وقلب شاكر ، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه كما في المشكاة باب ذكر الله عزوجل الخ .

قوله : «تعينه على إيمانه» أى على دينه بأن تذكّره الصلاة والصوم ، وغيرها من العبادات ، وتمنعه من الزنا وسائر المحرمات . كما ذكره في المرقاة شرح المشكاة .

ونحن نقص عليك قصة إحدى أخواتك المؤمنات السابقات كانت من أهل المدينة النبوية على عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإن في ذلك عبرة لك وعظة فبهديها اقتدي وهي : كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَعْصُ ذات ليلة أطراف

المدينة ، ليتعرف أخبار الناس ، ويتفقد أحوال الرعية ، أصابه التعب ، فاستند إلى جدار ، فإذا به يسمع صوت امرأة من خلف الجدار تقول لفتاة لها : قومي إلى اللبن فامدقيه .
فقالت الفتاة : أو ما علمت يا أمأه ! بأن أمير المؤمنين قد أمر بالأل يشاب اللبن بالماء ؟

فقالت المرأة : قومي فامدقي اللبن ، فإن عمر لا يرانا .
فردت الفتاة : والله ماكنت لأطيع أمير المؤمنين في المأ وأعصيه بالخلاء ، فإن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا .

سُرَّ عمر رضي الله عنه بهذا الحوار ، وأعجب بكلام الفتاة ، فسأل عنها حتى عرفها ، وودَّ لو أنه اتخذها زوجة لنفسه ، غير أنه قد كبرت سنه ، ولم تُعد له رغبة في الزواج ، فجمع أولاده وقال لهم : هل فيكم من يحتاج إلى زوجة فأزوجه ؟ فقال له ولده عاصم : يا أبت ! أنا لا زوجة لي فزوجني ، فقال له أبوه اذهب فاخطبها وتزوجها ، وكان من أحفادها الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، الذي اشتهر بعدله وورعه وتقواه .

واعلمي ياأختي المسلمة ! أن الله أمر عباده أن يأكلوا من الرزق الحلال وأن يشكروه على ذلك إن كانوا عبده ، والأكل من الحلال سبب لقبول الدعاء والعبادة ، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أيها الناس ! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :

﴿ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم﴾
المؤمنون : ٥١

وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ البقرة : ١٧٢
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى
السماء يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام
فأنى يستجاب لذلك . رواه مسلم كما في المشكاة باب الكسب وطلب الحلال .
وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا
يدخل الجنة لحم نبت من السُّحْتِ - أى الحرام - ، وكل لحم
نبت من السحت كانت النار أولى به » رواه أحمد والدارمي والبيهقي في
شعب الإيمان كما في المشكاة باب الكسب وطلب الحلال .

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا
يدخل الجنة جسد غذي بالحرام » رواه البيهقي في الشعب نفس المرجع المذكور .
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : من اشترى ثوباً بعشرة
دراهم وفيه درهم حرام ، لم يقبل الله تعالى له صلاة مادام عليه ،
ثم أدخل إصبعيه في أذنيه قال : صمّتا إن لم يكن من النبي
ﷺ سمعته يقوله » رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وقال إسناده ضعيف .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يأتي
على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أو من الحرام »
رواه البخاري كما في المشكاة نفس المرجع .

في هذا الزمن الذي أنبأ عنه النبي ﷺ ، لا يبالي الأب ولا
الابن ولا الزوج - إلا ماشاء الله - أمن الحلال يأخذ أو من الحرام ،
مثله كمثل رجل رأى الثعبان في ليلة مظلمة فأخذه وهو
يحسب أنه الحبل فإذا هو ثعبان ، فلدغه فدخل السم منه إلى
جسده فمات في حينه ، هكذا آكل الحرام إذا أكله يدخل سم
الحرام في جسده فيموت ، أي يموت قلبه فيصير هذا الرجل

ميت في الأحياء ويصير جسمه قبل القبر قبراً ، فإذا مات القلب فلا دواء له ولا شفاء إلا أن يتوب ويستغفر ربه ، والقلب قرية إذا تخرب لا إنشاء لها ولا تعمیر لها إلا أن يشاء الله .

اعلمي ياأختي العزيزة : أن الزوج أحياناً يضطر إلى كسب الحرام بسبب كثرة طلبات الزوجة ، ولذا قللي طلباتك ياأختي ! لأن هذه الحياة فانية وذاهبة اليوم أو غدا ، والحياة الحقيقية والطويلة هي حياة الآخرة كما قال النبي ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فاغفر الأنصار والمهاجرة

ستمضي وتنتهي هذه الحياة هكذا أو هكذا - أي بالعسر أو باليسر - فعليك أن تفكري كيف تعيشين في الحياة الآخرة أبالعسر أم باليسر .

ولو يعرض زوجك عن الحق وكسب الحلال خائفاً من الإفلاس فيكسب الحرام ولا يرجع عن كسبه فعليه أن يسمع قولنا هذا : أيها الزوج للأمة المسلمة المؤمنة ! تعرض عن الحق وكسب الحلال خوفاً من الإفلاس ، عندما أتفكر فيه فيهتز قلبي بهذا التفكير والإحساس ، أما تدري أن الكلب يأخذ رزقه ويأكل كل يوم وليلة في هذا الدهر ولا يبيت جائعاً .

وإن خوفك من الإفلاس لا مكان له ، إن كنت مؤمناً حقاً فإن الرزق مكفول ولا تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وجميع مخلوقات الله رزقها مكفول ، ألم تر أن الطير تخرج خماصاً وتروح بطاناً - شباعاً - لكن إن لم تتحرر الرزق الحلال الذي كتبه الله لك ورضيه لك ، فإنه يساق إليك بطريق غير مشروع وغير حلال بسبب اختيارك للحرام .

وهذا ربك ورب كل شيء يخبر بأنه متكفل بأرزاق
المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها بحريها
وبريها كلبا كان أو خنزيرا ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا

وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ هود : ٦

أوصيك يا أخي ! اختر لنفسك ما اختار المرسلون - عليهم
الصلاة والسلام - والمؤمنون الذين أرشدهم الله تعالى إليه بقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ المؤمنون : ٥١

و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ البقرة : ١٧٢

ولا تكن مثل الكلب الذي إذا ترمي إليه شيئا من الرزق
الحلال فيأخذه ويأكل ، وإذا ترمي إليه شيئا من الرزق الحرام
فيأخذه ويأكل ، ولا يعلم الفرق بين هذا وذاك ، فإذا لم تنته عن أكل
الحرام وأنت مسلم فنقول لك ما قال الله تعالى : ﴿ بَسْمًا يَا مُرْكُمُ
بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة : ٩٣ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الَّذِينَ لَا
يَعْقِلُونَ ﴾ الأنفال : ٢٢ . ففكّر من هو شرّ الدواب في نظرك ؟

وذكر الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه الكبائر ص ١١٨ :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ البقرة ١٨٨

أى لا يأكل بعضكم مال بعض الباطل . قال ابن عباس رضي الله
عنهما : يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقطع بها الرجل مال أخيه
بالباطل ، والأكل بالباطل على وجهين : أحدهما : أن يكون على جهة
الظلم نحو الغصب ، والخيانة والسرقة . والثاني : على جهة الهزل واللعب
كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك .

وفي صحيح البخاري : أن رسول الله ﷺ قال : «إن رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق ، فلهم النار يوم القيامة» .
 وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ : «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، فأني يستجاب لذلك» .
 وعن أنس رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! أذع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال ﷺ : «ياأنس ! أطب كسبك تحب دعوتك ، فإن الرجل ليرفع اللقمة من الحرام إلى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً» . ذكره المنذري من حديث ابن عباس كما في هامش الكبائر للذهبي .

وروى البيهقي بإسناده إلى رسول الله ﷺ : قال : «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن» .
 عزاه في الترغيب إلى رواية أحمد من حديث ابن مسعود وقال حسنهما بعضهم كما في هامش الكبائر للذهبي ص ١١٨ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان . ورب متخوض (فيما اشتتت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة» رواه البيهقي (المنذري) كما في الكبائر .

وذكر الذهبي في الكباير ص ١١٨ : عن عليه السلام أنه قال : «من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار» .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «لأن يجعل أحدكم في فيه تراباً خيراً من أن يجعل في فيه حراماً» . رواه أحمد .

وقد روى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال : إن الشاب إذا تعبد ، قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه ، فإن كان مطعمه سوء قال : دعوه يتعب ويجهتد فقد كفاكم نفسه . إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه .

ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله عليه السلام عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأئى يستجاب لذلك ؟

وقد روى في حديث أن ملكاً على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة : «من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» الصرف النافلة ، والعدل : الفريضة .

وقال عبدالله بن المبارك : «لأن أرد درهماً من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة» .

وجاء عن النبي عليه السلام أنه قال : «من حج بمال حرام فقال : ليك ، قال ملك : لا ليك ولا سعديك ، حجك مردود عليك» رواه الطبراني وفي سننه سليمان بن داود النجاشي : ضعيف (مجمع الزوائد) .

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمرو عن رسول الله عليه السلام قال : «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم ، وفي ثمنه درهم من حرام ، لم يقبل الله له صلاة مادام عليه» .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «لا يقبل الله صلاة امرئ وفي

جوفه حرام ، حتى يتوب إلى الله تعالى منه .

وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة كمن طهر

الثوب بالبول ، والثوب لا يظهره إلا الماء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال .

وعن زيد بن أرقم قال : كان لأبي بكر رضي الله عنه غلام يخرج له

الخروج - أي قد كاتبه على مال - وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله :

من أين أتيت بها ؟ فإن رضيته أكله وإلا تركه . قال فجاء ذات ليلة

بطعام وكان أبو بكر صائماً ، فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله ، ثم

قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس

بجاهلية وما كنت أحسن الكهانة ، إلا أني خدعتهم ، فقال

أبو بكر : أف لك كدت تهلكني ! ثم أدخل يده في فيه فجعل

يتقيأ ولا يخرج ، ف قيل له : إنها لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بماء

فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه ، ف قيل له :

يرحمك الله ! كل هذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضي الله عنه :

لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، إنني سمعت رسول الله

ﷺ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » فخشيت

أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة . رواه البخاري من حديث

عائشة بدون الزيادة في آخره من شرب الماء الخ .. كما في الكبائر ص ١٢٠ .

قال العلماء : ويدخل في هذا الباب : المكاس ، والحائن ، والزغلي

والسارق ، والبطال ، وآكل الربا وموكله ، وآكل مال اليتيم ، وشاهد

الزور ، ومن استعار شيئاً فجحده ، وآكل الرشوة ، ومنقص الكيل

والوزن ، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه ، والمقامر ، والساحر ،

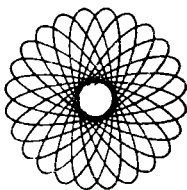
والمنجم ، والمصور ، والزانية ، والنائحة والعشيرة ، والدلال ، إذا أخذ

أجرته بغير إذن من البائع ، ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حراً

فصل

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : يؤق يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبال تهامة ، حتى إذا جاء بهم جعلها الله هباء منثوراً ، ثم يقذف بهم في النار . فقيل يارسول الله ! كيف ذلك ؟ قال : كانوا يصلون ، ويصومون ، ويزكون ، ويحجون غير أنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله أعمالهم . رواه الطبراني (مجمع الزوائد) كما في الكبائر ص ١٢١ .
وعن بعض الصالحين أنه رؤي بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير أنني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردھا .

هذا آخر ما ذكره الذهبي رحمه الله في كتابه الكبائر في باب أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان
فسأل الله تعالى العفو والعافية ، والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم رؤوف رحيم .



صديقة مؤمنة صالحة نعمة عظيمة لك يا أختي!

أختي العزيزة ! اختاري الصديقات مثل التي ذكر الله تعالى صفاتهن من فوق سبع سماوات قائلاً : ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ ثَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ التحريم : ٥ .
وهكذا الذكارات الله كثيرا ، والحافظات لفروجهن .

سبحان الله ! ماشأن هذه النساء وصفاتهن التي يحبها الله تعالى ويذكرها في كتابه المبارك ويبشر الله تعالى نبيه قائلاً :

عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا

خَيْرًا مِّنْكَ مُّسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَزِينْنَ لِنَفْسِكُنَّ وَيُحِبُّنَّ اللَّهُ وَرُوِيَ

التحريم : ٥

إن اتصافك بالأوصاف التي ذكرت في الآية الكريمة يجعلك في مصافهن ، لكن إذا اتصفت بأوصاف الفاجرات والراقصات والمغنيات فإنك تلحقين بهن عصمك الله من ذلك .

وقد روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :
بينما أنا والنبي ﷺ خارجان من المسجد ، فلقينا رجل عند سدة المسجد ، فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ قال النبي ﷺ :
« ما أعددت لها ؟ » فكان الرجل استكان ، ثم قال : يا رسول الله !
ما أعددت لها كبير صيام ، ولا صلاة ، ولا صدقة ، ولكني أحب الله
ورسوله ، قال : « أنت مع من أحببت » البخاري كتاب الأحكام .

اعلمي يا اختي ! إذا غرست شجرة الحبة في القلب وسقيتها بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب المصطفى وأسوته (ﷺ) أنثرت هذه الشجرة أنواع الثمار التي تسر الناظرين .

وقال النبي (ﷺ) : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل مالك إلا تقي » أخرجه الترمذي وأبوداود وأحمد انظر جامع الأصول ١٦/ ٦ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) : « المرء على دين خليله فلينظر من يخال » رواه البخاري ورواه أبوداود في الأدب والترمذي في الزهد وقال إسناده حسن .

وفي الصحيح للإمام البخاري عن النبي (ﷺ) قال : « مثل الخليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد : لا يعلمُك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكبيرُ الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة » رقم الحديث ٢١٠١ باب العطار وبيع المسك .

وقال الحافظ في الفتح : ٣٨٠/ ٤ : وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا ، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما . اهـ .
ونعم ما قاله الشاعر :

وَمَنْ رَبَطَ الْحِصَانَ إِلَى حِمَارٍ

تَعَلَّمَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ النَّهْيَقَا

أختاه ! اختاري لنفسك صديقة صالحة مؤمنة التي تعينك على الإيمان والأعمال الصالحة ، لكي لا تكون حسرة يوم يعص الظالم على يديه ويقول : ياليتني لم أتخذ فلانا خليلا .

أختي ! ارجعي إلى ربك الآن !

أختي ! وما نقول ليست فيك رغبة في طاعة الحق والبر ، بل نشكر الله سبحانه بأنك مسلمة أو مؤمنة وقلبك مملوء بشعر الإيمان - والحمد لله - ومثلك كمثل المصباح الذي مملوء من الزيت ويوجد فيه الفتيلة والمواد الذي يحتاج إلى تنويره ، ولكن انخفضت الفتيلة قليلا ، وتلبدت بالغبار ، وهذه الفتيلة تحتاج إلى أن ترفع قليلا وتنظف ، فعندما ترفع الفتيلة تنبعث الأنوار ، يضيء كل شيء ماحولها ، فترين بها الصراط المستقيم وتقتدين به ، فهذا هو القصد من الحياة .

اجتري قليلا وصممي على طاعة الله ورسوله ﷺ وأقرّي من أعماق القلب بأنك ستعيشين الحياة الباقية على درب الدين الحنيف وتموتين على ذلك عملا على قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسَّيْتُ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام : ١٦٢ . واعلمي أختي العزيزة ! أن رسول الله ﷺ يقول : « وأن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الدين فقد أحبه » الحديث رواه البيهقي ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وقال : قد حسنها بعضهم . راجع الكبائر للذهبي ص ١١٨ .

وإذا لم تعرفي قدر هذا الدين الحنيف ، وقدر هذه النعمة والرحمة ، وبادرت إلى تركها وردها فكيف يوفقك ربك لأخذها والعمل بها .

وصدق الله العظيم : «أَلْزَمُكُمْوهَا وَأَنْشُمُ لَهَا كَارهون﴾ هود : ٢٨ .
تقربي إلى دين الله خطوة ، فالله كريم ، ورحيم سيغطيك
برحمته ويقربك إليه زلفى .

ومثل ذلك كمثل الطفل الذي لا يستطيع السير ،
فيسعى ويقوم ويسرع في المشي إلى الوالد و كاد أن يسقط ويقع
على الأرض عند مشيه ، فيرفعه والده إلى حجره ويمسكه بالفور
كى لا يسقط ، فهذه المسافة وإن لم يقطعها الطفل ولكنه سعى
واجتهد في قطعها .

وهذا قول الفصل ليس بالهزل لربنا الرحمن بأنه يهدي من
يجاهد في سبيله فقال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت : ٦٩ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : أى لنبصرهم سبلنا أى طرقنا
في الدنيا والآخرة .

وعن الإمام أحمد أن معناه : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم
الله لما لا يعلمون . اهد من التفسير لابن كثير .

وفي رواية لمسلم عن أبي ذر رضي الله عنه : «ومن تقرب مني شبراً
تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً ، تقربت منه باعاً ،
ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بقرب الأرض خطايا لا
يشرك بي شيئاً ، لقيته بمثلها مغفرة» كما في المشكاة باب ذكر الله عزوجل .

ونعم مقال الشاعر بالفارسية وترجمته :

يقول : إن الحمار المسكين وإن كان حيواناً لا عقل له ولا
شعور لكى يعز بسببه ويرحم ، لكن يُعزّه ويرحمه مالكة عندما
يحمل الأثقال والأوزان على ظهره .

فإذا كان الإنسان يحمل ثقل هذه الأمانة - وهو الدين - التي

عرضها الله تعالى على السموات والأرض فأبين أن يحملنها فحملها
الإنسان ، فكيف لا يكون الإنسان عزيزاً عند الله سبحانه .

أختي العزيزة ! يجب أن يحل حب الله وحب رسوله ﷺ في قلبك ،
ولابد من أن يوجد في قلبك ألم واحترق لهذا الدين لأنه من المعلوم :

○ أن الماء لا يسيل إلا إلى الأسفل

○ والشفاء لا ينزل إلا على الداء والمرض

○ ولا يرد الجواب إلا في موضع توجد فيه المشكلة

○ ولا يوضع الدواء إلا في موضع الجرح والألم

واعلمي يا جوهرة الكون المكنونة ! أنك قد عشت حياة
طويلة، ولعل التي بقيت من حياتك قليلة نظراً إلى ما مضت ،
لأنك لا تدرين في أي حين ستركبين على أعناق الرجال ، وكلنا
نعرف ماذا ارتكبنا من الذنوب والمعاصي إلى الآن ؟ وماذا نريد
فيما بعد - أعاذنا الله منه - .

فعلينا الآن أن نعيش حياة جديدة ورشيقة ، وتبدأ هذه
الحياة الجديدة بالتوبة والاستغفار على الذنوب السالفة مهما
كانت صغيرة أو كبيرة ، لأن التوبة تحجب ما كان قبلها من
الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها .

تضرعي إلى الله من قلب سليم وصميم ، وأقري بذنوبك أمامه
صغيرها وكبيرها ، ثم أسألي العفو من الله بالأتين والبكاء والتضرع .
وقد ورد في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول : «لأتين المذنبين أحبُّ
إليَّ من رجُلٍ المسبِّحين» أوردته الآلوسي في تفسيره تحت سورة القدر .

وإن لم تقدرى على البكاء فتباكي أيتها الأخت ! وقد قال
ﷺ : «يا أيها الناس ! ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فإن أهل
النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول ، حتى
تنقطع الدموع فتسيل الدماء ، فتقرح العيون فلو أن سفناً أزرجيت فيها لجرت»
رواه أبو يعلى الموصلي ، ورواه ابن ماجه كما في التفسير لابن كثير ٣٧٨/ ٢ .

وعن النبي ﷺ قال : « ليس شيء أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم يهراق في سبيل الله » الخ . رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب كما في المشكاة كتاب الجهاد . وقال أحد شيوخنا : عندما يستورد الملك شيئاً إلى بلده من الخارج فيقدره حق قدره ، لأن هذا الشيء ما كان موجوداً في بلده ، هكذا أيها الناس ! لا توجد الدموع في حضرة الله العظيمة فيقدرها الله حق قدرها ، فلما عين المذنب تسيل بالدموع يتوجه الله إليه بالرحمة والمغفرة ، لأن الدموع التي تسكبها عيون المذنبين ليست هيئنة عندالله تعالى ، وهي حالة لا توجد لدى الملائكة لأنهم دائمو الذكر والعبادة لا يذنبون ، فخلق الله بني آدم تذبذباً ثم تندم على المعاصي والذنوب ، لأن العباد حينما يرتكبون الذنوب فيتضرعون إلى الله ويندمون ويكون على ما فعلوا ويسألون العفو والمغفرة بسبب هذه الندامة فإن الله يغفر لهم ويقربهم إليه .

اسمعي يا أختاه ! عندما يقع الإنسان في الاثم ويرتكبه فإنه يسود القلب ، ويستحوذ عليه ويتملكه ، وإلا كيف يستطيع الشيطان أن يستحوذ على قلب المؤمن وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ آل عمران : ١٥٥ . أى ببعض ذنوبهم السالفة ، كما قال بعض السلف : « إن من ثواب الحسنة الحسننة بعدها ، وإن من جزاء السيئة السيئة بعدها » كما في التفسير لابن كثير .

وقال العلامة الألوسي في تفسير الآية المذكورة أعلاه : « لا مجال للشيطان على ابن آدم بالوسوسة إلا إذا وجد ظلمة في القلب » اهـ . لكن عندما يتوب العبد إلى الله عزوجل توبة نصوحاً فإن هذه الندامة تضيء القلب ، ويفر الشيطان منه .

ومن يريد أن يطرد الشيطان من القلب فليسرع إلى التوبة ولا يتأخر ، وإلا فإن الشيطان يجعل هذا القلب محطة ومركزاً

ومصدراً ، ويجلس فيه جلسة الملك الأمر ويفعل مايشاء ويلجمه لجام الحمار فيدوره حيث يشاء من أودية الذنوب والمعاصي ، وصدق الله العظيم : ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ النساء : ٣٨ .

ومن تاب - محققاً شروط التوبة المعروفة - ثم عاد لذنبه ، ثم تاب فإن الله يقبل توبته .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما أصرَّ من استغفر ، وإن عاد في اليوم سبعين مرة » . رواه أبو داود في سننه باب في الاستغفار .

قوله : « ما أصرَّ من استغفر » : قال في النهاية : أصر على الشيء إصراراً ، إذا لزمه وداومه وثبت عليه ، وأكثر ما يستعمل في الشر والذنوب ، يعنى من اتبع الذنوب بالاستغفار فليس بمصر عليها وإن تكررت منه . اهـ .

وفي الصحيح للإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن عبداً أذنب ذنباً ، فقال : رب أذنبت ذنباً فاغفره ! فقال ربُّه : أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أذنب ذنباً ، قال : رب ! أذنبت ذنباً فاغفره ، فقال : أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم أذنب ذنباً ، قال : رب ! أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي ، فقال : أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدي ، فليفعل ما شاء » متفق عليه كما في المشكاة باب الاستغفار .

قوله : « فليفعل ما شاء » هذه الصيغة للتلطف وإظهار العناية والشفقة ، أى إن فعلت ماكنت تفعل ، فاستغفرت منه ، غفرت

لك فإني أغفر الذنوب ، وهذا معنى قوله ﷺ : « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة » كما في المرقاة شرح المشكاة .
أختي العزيزة ! اعلمي أن حضن رحمة الله هو حياة المؤمن ، إلى متى نفر منه وإلى أين ؟ لو بلغت ذنوبنا عنان السماء أو أكثر ، فنرضى ربنا بالتوبة الصادقة باكين خاشعين حتى تسيل الذنوب في سيل غفرانه وعفوه سبحانه .

فالبدار البدار إلى التوبة لا التسويف فيها ولا والتأخير ولو ارتكبنا المعاصي لا تعد ولا تحصى ، فهل لنا باب آخر غير باب الله ؟ كلا ، والله لا باب إلا باب الله سبحانه ، ونعم ما قال من قال :
من أي بحر غير بحرك نستقي ولأي باب غير بابك نقصد
وذكر ابن القيم رحمه الله في هذا الباب حكاية مشهورة عن بعض العارفين : أنه رأى في بعض السكك باباً قد فتح ، وخرج منه صبي يستغيث ويبكي ، وأمه خلفه تطرده ، حتى خرج ، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت ، فذهب الصبي غير بعيد ، ثم وقف مفكراً ، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه ، ولا من يؤويه غير والدته ، فرجع مكسور القلب حزيناً ، فوجد الباب مُرتجاً ، فتوسّده ووضع خده على عتبة الباب ونام ، فخرجت أمه ، فلما رآته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه ، والتزمته تقبله وتبكي وتقول :

يا ولدي ! أين تذهب عني ؟ ومن يؤوك سواي ؟ ألم أقل لك لا تخالفني ، ولا تحمليني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك ، والشفقة عليك ، وإرادتي الخير لك ؟ ثم أخذته ودخلت . انتهت القصة .

وقال ابن القيم بعد ذلك : فتأمل قول الأم : «لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة» .

وتأمل قوله ﷺ : «لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها» وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء ؟

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه ، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به اهـ .
اعلمي أختي المستغفرة من الله والتائبة إليه : أن الاستغفار والتوبة من أهم مقاصد الشريعة .

ويأسفنى على من يستغفر له فوق سبع سموات وهو غافل عن الاستغفار لنفسه والتوبة إلى الله ، وكيف لا ! وقد قال الله تعالى :

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

الغافر : ٧

وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي

الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الشُّرَى :

هذا ما قيل في أهل السماء وهم يستغفرون لمن في الأرض جميعا وللمؤمنين خاصا ، وقد أمر الله تعالى لأهل الأرض وعلى رأسهم سيد ولد آدم ﷺ أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات قائلا : **وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴿١٧﴾**

محمد : ١٩

والله سبحانه شجع وحرص أهل الأرض على التوبة والاستغفار شفقة عليهم ورأفة بهم ويقول لطفًا بعباده : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ المائدة ٧٤

ولم يقتصر ربنا سبحانه على هذا الكرم والجلود والرحمة والمغفرة بل تاب على عباده ليتوبوا ولئلا يستحقوا البطش والسخط والعقاب الشديد ، قال التواب الرحيم : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة : ١٨ .

قال الحسن البصري رحمه الله : «انظروا إلى هذا الكرم والجلود ا قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة» .

وقد روى أن عطاء السلمي رضي الله عنه رؤي بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قال لي : يا عطاء أما استحييت مني أن تخافني كل هذا ؟ أما بلغك أني غفور رحيم» الفتاوى لابن تيمية رحمه الله ج ١١ ص ٥ الطبعة الأولى .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوْا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

ومن منن الله تعالى على أمة محمد ﷺ إمهاله للخائضين في أودية الذنوب والمعاصي الكبائر منها والصغائر ، ولا يخفى على أحد من الناس أننا نحن - إلا ماشاء الله فارون من خالقنا إلى شهواتنا وغارقون في الغفلة والسكره والغون في المعاصي وهو سبحانه حلیم لا يبطش بنا ولا يهلكنا حالا بل يمهلنا ويأمر نبيه ﷺ أن يعلن كرمه قائلاً :

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

الزمر : ٥٣

ومن كرم الله المتزايد على عباده : أنه يغفر الذنوب ويمحوها

من صحائف أعمالهم حتى لا يبقى لها أي أثر ، وإنا نرى في الدنيا أن المأخوذ في أي جرم إذا حبس في السجن أو عذب فإنه متى يخلص من السجن أو العذاب لا يُمحي جرمه وذنبه من الدفاتر والسجلات ، بل يحفظ سجل جرمه في الدوائر الرسمية المختصة ، ولكن الله تعالى يغفر ذنوب عبده ويستر ويمحو بعد توبة العبد حتى لا يبقى له أي أثر في صحيفة أعماله . فنعم المولى ونعم النصير .

وجوده جل وعلا لا يقف عند حد بل : ﴿يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ الفرقان : ٧٠ .

قال الحافظ ابن كثير مفسراً لهذه الآية : ٣ / ٣٢٨ : إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلا لأنه كلما تذكر ماضى وندم واسترجع واستغفر انقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار . انتهى .

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ الزمر : ٥٣

قد دعا الله تعالى إلى مغفرته :

من زعم أن المسيح هو الله ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ المائدة ١٧
ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ التوبة : ٣٠

ومن زعم أن عزيزاً ابن الله وقالت اليهود عزيز ابن الله ﴿التوبة : ٣٠
ومن زعم أن الله فقير ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير﴾ آل عمران : ٣٠

ومن زعم أن يد الله مغلولة ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾

المائدة : ٦٤

ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله

ثالث ثلاثة﴾ المائدة : ٧٣

يقول الله تعالى لهؤلاء (الكفرة الفجرة) : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المائدة : ٧٤ .

ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء : من قال :
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ النازعات : ٢٤ .

وقال : ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ القصص : ٣٨ اتنى
ما ذكره ابن كثير رحمه الله .

قال الراقم : إذا كان هذا لطف الله سبحانه مع أعدائه الكفرة
الفجرة مع أنهم قتلوا أنبياءه ورسله وأوليائه وآذوه ما آذوهم ،
وهو يدعوهم إلى مغفرته ويقول : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ ويقول :
﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾
الزخرف : ٥ .

ويقول : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الانفطار : ٦ .
فما بالك في لطفه وكرمه تعالى بالمؤمنين الذين قال الله تعالى
في شأنهم : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ﴾ البقرة : ٢٥٧ .

وإذا كانت التوبة والاستغفار تنفع الكفار الأشرار فكيف لا
تفيد المؤمنين الأبرار ؟

فاستغفروا ربكم أيها الناس وتوبوا إليه :

إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا ﴿١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿٢﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَبِمَعْمَلٍ

لَكَرَجْتِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾

نوح : ١٠-١٤ اهـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكره الحافظ ابن كثير :
«من آيس عباد الله التوبة بعد هذا فقد جهد كتاب الله عزوجل ،
ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه» .

وأخرج ابن جرير عن أبي الجوزاء قال : اختلفتُ إلى ابن عباس
ثلاث عشرة سنة ، فما من شيء من القرآن إلا سألته عنه ،
ورسولي يختلف إلى عائشة رضي الله عنها ، فما سمعته ولا
سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب : لا أغفره .
الدر المنثور ٢ / ١٦٩ .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» رواه ابن ماجه ، وقال
السيوطي : ورواه الحاکم عن أبي سعيد والبيهقي في شعب الإيمان وقال : تفرد به
النهراي وهو مجهول ، قال ابن حجر : مع هذا لا يضر لأن الحديث الضعيف
يعمل به في الفضائل ، كما في المرقاة شرح المشكاة .

قوله : «كمن لا ذنب له» أى في عدم المؤاخذه ، بل قد يزيد
عليه بأن ذنوب التائب تبدل حسنات ، ويؤيد هذا ماجاء عن
رابعة رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أهل عصرها
كالسفيانيين والفضيل وتقول : «إن ذنوبي بلغت من الكثرة ما لم
تبلغه طاعاتكم فبتويتي منها بدلت حسنات فصرتُ أكثر
حسنات منكم» .

وفيه أن هذه حسنات تقديرية فأين هي من حسنات تحقيقية
يترتب عليها الزيادة المضاعفة .

وعندي (صاحب المرقاة) أن حسنة واحدة من السفينين مما يتعلق بنقل السنة التي يعمل بها إلى يوم القيامة تزيد على جميع حسنات رابعة ، وإنما كانا يتواضعان لها في الحضور عندها وطلب الدعاء منها اقتداءً به عليه الصلاة والسلام ، بل وربما كانا ينفعانها فيما تكون جاهلة في أمر دينها ، والله تعالى أعلم . راجع المرقاة الجزء الخامس ص ١٥٠ .

أختي العزيزة ! ناقشي نفسك وحاسبها وسارعي إلى التوبة وبادري ، فإن الأجل مكتوم والدنيا غرور والنفس والشيطان عدوان ، وتضرعي إلى الله تعالى وابتهلي إليه واذكري حال أينا آدم ﷺ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وحمله إلى جنته لم يذنب إلا ذنباً واحداً فنزل به مانزل :

حتى روى أن الله تعالى قال له يا آدم ! أي جار كنت لك ؟ قال : نعم الجار يارب ! قال : يا آدم ! اخرج من جواربي ، وضع عن رأسك تاج كرامتي فإنه لا يجاورني من عصائي . مدارج السالكين للغزالي باب عقبة التوبة .

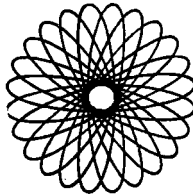
حتى إنه فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل الله توبته وغفر ذنبه الواحد . نفس المرجع .

قال الغزالي بعد ذكره : هذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى ، وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمرء المتعسف ؟ ولقد أحسن من قال : يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب فإن تبت ثم نقصت التوبة وعدت إلى الذنب ثانياً فعد إلى التوبة مبادراً ، وقل لنفسك لعلي أموت قبل أن أعود إلى الذنب هذه المرة

وكذلك ثالثاً ورابعاً ، وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة فاتخذ التوبة أيضاً والعود إليها حرفة ، ولا تكن في التوبة أعجز منك في الذنب ، ولا تياس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فإنه دلالة الخير ، أما تسمع قوله ﷺ : «خياركم كل مفتن تواب» أى كثير الابتلاء بالذنب ، كثير التوبة منه ، والرجوع إلى الله بالندامة والاستغفار ، وتذكر قوله سبحانه : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فهذه بهذه وبالله التوفيق . انتهى

مدارج السالكين للغزالي باب التوبة

والآن نذكر بعض قصص التائبين والتائبات الذين لا تستقر قلوبهم ولا تطمئن إذا علق بها ذنب حتى يتوب توبة ترجو منه تعالى أن قد غفر لها وتاب عنها ، وهذا هو شأن المؤمن كما قال ﷺ : «يرى ذنبه كأنه قاعد تحت جبل ، والفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا بيده فذبه عنه كما ثبت في الحديث الصحيح .



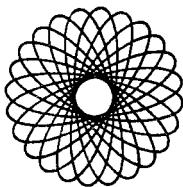
**توبة ماعز بن مالك الأسلمي
وتوبة امرأة من غامد من الأزد
رضي الله عنهما**

روى مسلم في صحيحه عن بريدة رضي الله عنه قال : جاء ماعز ابن مالك إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! طَهَّرني ، فقال : ويحك ارجع فاستغفر الله وثب إليه ، قال : فرجع غير بعيد ثم جاء فقال : يا رسول الله ! طَهَّرني ، فقال النبي ﷺ مثل ذلك ، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ : فيما أطَهرك ؟ قال : من الزنا ، قال رسول الله ﷺ : أبه جنون ؟ فأخبر أنه ليس بمجنون ، قال : أشربَ خمراً ؟ فقام رجل فاستنكهه - أي شم رائحة فمه - فلم يجد منه ريح خمر ، فقال : أزنيت ؟ قال نعم ، فأمر به فرُجم ، فلبثوا يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ فقال : «استغفروا لماعز بن مالك لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لوسعتهم» .

ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد ، فقالت : يا رسول الله ! طَهَّرني فقال : ويحك ارجعي ، فاستغفري الله وتوبي إليه ، فقالت : تريد أن تُرَدِّدني - أي ترجعني كما رَدَدْتَ ماعز بن مالك ، أنها حبلى من الزنا ، فقال : أنت ؟ قالت : نعم ، قال لها : حتى تضعين مافي بطنك ، قال - الراوي - : فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت ، فأتى النبي ﷺ فقال : قد وضعت الغامدية ، فقال : إذا لا تُرْجَمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يُرضعه ، فقام رجل من الأنصار ، فقال : إليّ رضاعه ياني الله ! قال : فرجها .

وفي رواية : أنه قال لها : «إذهبي حتى تلدي ، فلما ولدت قال : اذهبي فارضعيه حتى تطفميه ، فلما فطمته أته بالصبي وفي يده كسرة خبز ، فقالت : هذا يانبي الله قد فطمته ، وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها ، فتنضح الدم - أى ترشش - على وجه خالد فسبها ، فقال النبي ﷺ : مهلا ياخالد ! والذي نفسي بيده ! لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها وذفنت» رواه مسلم كما في المشكاة (كتاب الحدود) .

أختي العزيزة تأملي ! هذه أختك المؤمنة كيف حافظت على دين الله ودين نبيها ﷺ ؟ وكيف أروت شجرة الإسلام بدمها وحفظت حدودها ؟ وكيف كان قوة إيمانها بما أنزل الله من السماء من الحدود ، فعرضت نفسها أمام رسول الله ﷺ لتطهيرها لتلقى ربها غداً وهي بريئة من الذنوب والمعاصي كلها فهل إلى رجوع من سبيل بأن نتوب إلى الله ونستغفره ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب ؟ .



توبة العبد العاصي

رُوي أنه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى عليه الصلاة والسلام ، فاجتمع الناس إليه ، فقالوا : يا كليم الله ! ادع لنا ربك أن يسقينا الغيث ، فقام معهم ، وخرجوا إلى الصحراء وهم سبعون ألفاً أو يزيدون ، فقال موسى ﷺ : إلهي ! اسقنا غيثك ، وانشر علينا رحمتك ، وارحمنا بالأطفال الرضع ، والبهائم الرُبع ، والمشايخ الرُكع ، فما زادت السماء إلا تقشعا ، والشمس إلا حرارة ، فقال موسى : إلهي ! اسقنا غيثك وانشر علينا رحمتك ، فأوحى الله إليه : يا موسى ! أن فيكم عبداً يبارزني منذ أربعين سنة بالمعاصي ، فناد في الناس حتى يخرج من بين أظهركم ، فبه منعتكم ، فقال موسى : إلهي وسيدي ! أنا عبد ضعيف ، وصوتي ضعيف ، فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون ؟ فأوحى الله إليه : منك النداء ، ومني البلاغ ، فقام منادياً وقال : يا أيها العبد العاصي الذي يبارز الله منذ أربعين سنة ! أخرج من بين أظهرنا : فبك مُنعنا المطر ، فقام العبد العاصي ، فنظر ذات اليمين وذات الشمال ، فلم ير ذات اليمين وذات الشمال ، فلم ير أحداً خرج ، فعلم أنه المطلوب ، فقال في نفسه : إن أنا خرجتُ من بين هذا الخلق افتضحَ على رؤوس بني إسرائيل ، وإن قعدتُ معهم مُنعوا لأجلي ، فأدخل رأسه في ثيابه نادماً على أفعاله ، وقال : إلهي وسيدي ! عصيتك أربعين سنة وأمهلتنني ، وقد أتيتك طائعاً فأقبلني ، فلم يستم الكلام حتى ارتفعت سحابة بيضاء فأمرت كأفواه

القرب ، فقال موسى : إلهي وسيدي ! بماذا سقينا
وما خرج من بين أظهرنا أحد ؟ فقال : يا موسى !
سقيتكم بالذي به منعتكم ، فقال : موسى : إلهي ! أرني هذا
العبد الطائع ، فقال : ياموسى ! إنني لم أفضحهُ وهو يعصيني
أفضحهُ وهو يطيعني ؟ ياموسى ! إنني أبغض النمامين ، أفأكون
نمّاماً . كتاب التوابين لابن قدامة ص ٨٢ و ٨٣ .

تأملنى يا أختاه!

في سعة رحمة الله على عباده من كانوا وحيث كانوا وكيف كانوا ،
هذا العبد يبارز ربه بالمعاصي منذ أربعين سنة ، فرضي عنه في
دقيقة واحدة وبكلمة واحدة .

فبادرني إلى التوبة يا أختي!

وهذه سلسلة الاتصال السماوية مفتوحة أربعة وعشرين ساعة ،
لا يحتاج إلى وقت خاص ، ولا إلى موظف سنترال ولا إلى وسائط
للإتصال مع الله ومناجاته ، ولا إلى رفع السماعة ولا أرقام ولا إلى
رفع الصوت وكلام لأنه يقول :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ البقرة : ١٨٦

بل لو تقولين في نفسك بدون تحريك اللسان وتضرعين
إليه وأنت على فراشك ، وأنت نادمة على أفعالك السالفة
فتقولين يارب ! عفوك وسترك وقد أتيتك طائعة فأقبلني !
فإنه يسمع صوتك من فوق سبع سماوات فيفرح بتوبتك
ويتوب عليك إن شاء الله .

توبة شاب مصرف على نفسه

وعن وهب بن منبه قال : كان في زمن موسى عليه السلام شاب عاتٍ مسرف على نفسه ، فأخرجوه من بينهم لسوء فعله ، فحضرته الوفاة في خربة على باب البلد ، فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : إن وليا من أوليائي حضره الموت ، فاحضره وغسله وصأ عليه ، وقل لمن كثر عصيانه : يحضر جنازته لأغفر لهم ، واحمله إليّ لأكرم مثواه ، فنادى موسى في بني إسرائيل ، فكثر الناس ، فلما حضروه عرفوه ، فقالوا : يانبي الله! هذا هو الفاسق الذي أخرجناه ، فتعجب موسى من ذلك ، فأوحى الله إليه : صدقوا وهم شهدائي ، إلا أنه لما حضره الوفاة في هذه الخربة نظر يُمننة ويسرة فلم ير حميماً ولا قريبا ، ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة ، فرفع بصره إلي ، وقال : إلهي عبد من عبادك غريب في بلادك ، لو علمتُ أن عذابي يزيد في ملكك وعفوك عني ينقص من ملكك لما سألتك المغفرة ، وليس لي ملجأ ولا رجاء إلا أنت ، وقد سمعتُ فيما أنزلت أنك قلت : ﴿إِنِّي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الحجر : ٤٩ ، فلا تخيب رجائي . ياموسى ! أفكان يحسن بي أن أردده وهو غريب على هذه الصفة ، وقد توسل إليّ بي وتضرع بين يديّ ! وعزتي ، لو سألتني في المذنبين من أهل الأرض جميعا لوهبتهم له لذلّ غرْبته ، ياموسى ! أنا كهف الغريب وحبيبه وراحمه . كتاب التواين لابن قدامة ص ٨٢ .

توبة ملك من ملوك البصرة وجاريتته

روي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه كان يوماً ماشياً في أزقة
البصرة ، فإذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم ،
فلما رآها مالك نادى : أيتها الجارية ! أبيعك مولاً ؟ قالت :
كيف قلت يا شيخ ؟ قال : أبيعك مولاً ؟ قالت : ولو باعني
كان مثلك يشتريني ؟ قال : نعم ، وخيراً منك ، فضحكت
وأمرت أن يحمل إلى دارها ، فحمل ، فدخلت إلى مولاه فأخبرته
فضحك وأمر أن يدخل إليه ، فدخل ، فألقيت له الهيبة في
قلب السيد ، فقال : ما حاجتك ؟ قال : بعني جاريتك ، قال :
أو تطيق أداء ثمنها ؟ قال فثمنها عندي نواتان مسوستان ،
فضحكوا وقالوا : كيف كان ثمنها عندك هذا ؟ قال : لكثرة
عيوبها ، قالوا : وما عيوبها ؟

قال : إن لم تتعطر ذفرت ، وإن لم تستك بخرت ، وإن لم
تمشط وتدهن قملت وشعثت ، وإن تعمّر عن قليل هرمت ،
ذات حيض وبول وأقذار جمة ، ولعلها لا تؤدك إلا لنفسها ، ولا
تحبك إلا لشغفها بك ، لا تفي بعهدك ، ولا تصدق في ودك ،
ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك ، وأنا آخذ بدون
ما سألت في جاريتك من الثمن جاريةً خلقت من سلالة
الكافور ، لو مزج بريقها أجاج - أي ملح ومر - لطاب ، ولو
دُعي بكلامها ميت لأجاب ، ولو بدا معصمها للشمس لأظلت
دونه ، ولو بدا في الليل لسطع نوره ، ولو واجهت الآفاق
بحليها وحللها لتزخرفت ، نشأت بين رياض المسك والزعفران

وقصرت في أكنان النعيم ، وغذيت بماء التسنيم - أى أشرف
شراب الجنة وأعلاها - فلا تخلف عهدهما ، ولا يتبدل ودها .
فأيهما أحق برفعة الثمن ؟ قال : التي وصفت ، قال : فإنها
الموجودة الثمن القريبة المخطب ، قال : فما ثمنها رحمك الله ؟
قال : اليسير المبذول ، أن تفرغ ساعة في ليلتك فتصلي
ركعتين تخلصهما لربك ، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك
فتؤثر الله على شهوتك ، وأن ترفع عن الطريق حجراً
أو قذراً ، وأن تقطع أيامك بالبلعة ما يتبلغ به من
العيش ، وترفع همتك عن دار الغفلة ، فتعيش في الدنيا بعز
لقنوع ، وتأتي غداً إلى موقف الكرامة آمناً ، وتنزل غداً في
الجنة مخلداً .

فقال الرجل : يا جارية ! أسمعت ما قال شيخنا هذا ، قالت :
عم قال : أفصدق أم كذب ؟ قالت : بل صدق وبر ونصح ، قال :
فأنت إذا حرّة لوجه الله ، وضیعة كذا وكذا صدقة عليك ، وأنتم
بها الخدام ! أحرار وضیعة كذا وكذا لكم ، وهذه الدار بما فيها
صدقة مع جميع مالي في سبيل الله ، ثم مد يده إلى ستر خشن
كان على بعض أبوابه فاجتذبه ، وخلع جميع ما كان عليه
واستتر به .

قالت الجارية : لا عيش لي بعدك يامسولاي ! فرمت بكسوتها
ولبست خشنًا وخرجت معه ، فودعهما مالك ودعا لهما ،
وأخذ طريقًا ، وأخذًا غيره ، فتعبدا جميعًا حتى جاء الموت
فنقلهما على حال العبادة رحمة الله عليهما .

من كتاب التوابين لابن قدامة ص ١٤٦

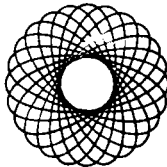
فكري بأختاه : كيف تأثر على الملك وجارته جلسة واحدة مع الرجل الصالح ، بدل حياتهما من القذر إلى الطهارة ومن سخط الله إلى رضوانه وماتا على عبادة الله .

فلذا نقول لك ياأختي ! اتخذي مجالسة المؤمنات الصالحات الثابتات إلى الله ، واحترزي من مجالسة الطالحات والفاحشات اللاتي يردن الحياة الدنيا وزينتها ولا يردن الله ورسوله ﷺ ، فتؤثر عليك صحبتهن فتفوزين في حياتك وبعد موتك إن شاء الله .

توبة دينار العيار عن المعاصي على يد والدته

روى أن رجلاً كان يُعرف بـ«دينار العيار» ، كانت له والدة تعظه ولا يتعظ ، فمر في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام ، فأخذ منها عظماً نخراً فانفتت في يده ، ففكر في نفسه ، وقال لنفسه : ويحك ! كأني بك غدا قد صار عظمك هكذا رُفاتا والجسم تراباً ، وأنا اليوم أقدم على المعاصي ، فندم وعزم على التوبة ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : إلهي ! إليك ألقى مقاليد أمري ، فأقبلني وارحمني ثم مضى نحو أمه متغير اللون ، منكسر القلب ، فقال : ياأماه ! مايصنع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده ؟ فقالت : يخشن ملبسه ومطعمه ويغفل يده وقدمه ، فقال : أريد جبة من صوف وأقراصاً من شعير^ه وتفعلين بي كما يفعل الآبق ، لعل مولاي يرى ذلتي فيرحمني ، ففعلت ماطلب ، فكان إذا جنه الليل أخذ في البكاء والعمويل ، ويقول

نفسه : ويحك يا دينار ! ألك قوة على النار ؟ كيف تعرّضت لغضب الجبار ؟ وكذلك إلى الصباح ، فقالت أمه في بعض الليالي : ارفق بنفسك ، فقال : دعيني أتعب قليلاً لعلّي أستريح طويلاً ، يا أمي ! إن لي موقفاً طويلاً بين يدي رب جليل ، ولا أدري يؤمر بي إلى الظّل الظليل أو إلى شر مقبل ، إنني أخاف عناء لا راحة بعده ، وتويخاً لا عفو منه ، قالت : فاسترح قليلاً ، فقال : الراحة أطلب ؟ أتضمنين لي الخلاص ؟ قالت : فمن يضمنه لي ؟ قال : فدعيني وما أنا عليه ، كأنك يا أماه ! غدا بالخلاق يساقون إلى الجنة وأنا أساق إلى النار ! فمرت به في بعض الليالي في قراءته **فَوَرِّدْكَ لَنَسَقَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾** **عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾** سورة الحجر : ٩٢ - ٩٣ ، ففكر فيها ، وبكى وجعل يضطرب كالخية حتى خر مغشياً عليه ، فجاءت أمه إليه فنادته ! فلم يجيبها ، فقالت : قُرّة عيني ! أين الملتقى ؟ فقال بصوت ضعيف ، إن لم تجديني في عرصة القيامة فاسألني مالكاً - يريد مالكاً خازن النار - عني ، ثم شهق شهقة مات فيها ، فجهزته وغسلته ، وخرجت تنادى : أيها الناس ! هلمّوا إلى الصلاة على النار ، فجاء الناس ، فلم يُر أكثر جمعاً ولا أغزر دمعا من ذلك اليوم» كتاب التوابين لابن قدامة ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .



توبة رجل عن حب مغنية شغله الله

وقال علي بن الحسين : كان لنا جار من المتعبدین قد برز في الاجتهاد ، فصلى حتى تورمت قدماه وبكى حتى مرضت عيناه ، فاجتمع إليه أهله وجيرانه يسألونه أن يتزوّج ، فاشترى جارياً وكانت تغني وهو لا يعلم ، فبينما هو ذات يوم في محرابه يصلي ، رفعت الجارية صوتها بالغناء ، فطار لبه ، فرام - أى قصد - ما كان عليه من العبادة فلم يطق ، فأقبلت الجارية عليه ، فقالت : يامولاي ! لقد أبليت شبابك ورفضت لذات الدنيا أيام حياتك فلو تمتعت بي ! فمال إلى قولها واشتغل باللذات عمّا كان فيه من التعب ، فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه على العبادة فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الناصح الشفيق والطبيب الرفيق إلى من سلب حلوة الذكر والتلذذ بالقرآن ، والخشوع والأحزان ... السلام عليكم بلغني أنك اشتريت جارية بعث بها من الآخرة حظك ، فإن كنت بعثت الحزيل بالقليل والقرآن بالقيان ، فإني محدرك هادم اللذات - الموت - ومنغص الشهوات وموتم الأولاد ، فكأنه قد جاء على غرة فأبكم منك اللسان ، وهدم منك الأركان ، وقرب منك الأكفان ، واستوحشك الأهل والجيران ، وأحدرك من الصحبة إذا جثت الأمم لهول ملك الجبار . فاحذر يا أخي ! ما يحل بك من ملك غضبان .

ثم طوى الكتاب وأنفذه إليه ، فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره ، فغض بريقه وأذهله ذلك ، فنهض مبادراً من مجلس

سروره وكسر آتيته وهجر جاريته وآلى أن لا يطعم الطعام ولا يتوسد المنام .

قال الذي وعظه : فلما مات رأيته في المنام بعد ثلاث ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : قدمنا على رب كريم أباحنا الجنة وقال : الله عوّضني ذو العرش جارية حوراء تسقيني تورا وتهيني تقول لي اشرب بما قد كنت تأملني وقرّ عينا مع الولدان والعين يامن تخلى عن الدنيا وأزعجه عن الخطايا وعيد في الطواوين كتاب التوابين لابن قدامة ص ٢٨٤ - ٢٨٥

توبة شيخ مهلبى وجاريته عن الشراب والضرب بالعود

ذكر ابن قدامة قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له ، فلما فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية فلما صار في دجلة إذا بفتى على ساحل دجلة ، عليه جبة صوف ويده عكازة ومزود ، قال : فسأل الملاح أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكراء ، قال : فأشرف الشيخ المهلبى ، فلما رآه رق له ، فقال للملاح : قرب واحمله معك على الظلال ، فحمله ، فلما كان في وقت الغداء دعا الشيخ بالسفرة ، وقال للملاح : قل للفتى ينزل إلينا ، فأبى عليه ، فلم يزل يطلب إليه حتى نزل ، فأكلوا ، حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم ، فمنعه الشيخ حتى توضؤوا ، دعا بركوة - زق للخمر والخل - فيها شراب فشرب قدحاً ، ثم سقى الجارية ، ثم عرض على الفتى ، فأبى وقال : أحب أن تعفيني ، قال : قد أعفيناك ، اجلس معنا ، وسقى الجارية ، وقال هاتي ما عندك ، فأخرجت عوداً لها في كيس

فهياته وأصلحته ، ثم أخذت فغنت ، فقال : يافتى تحسن مثل هذا ؟ قال : أحسن ما هو أحسن من هذا ، فافتتح الفتى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ

النساء : ٧٧-٧٨

وكان الفتى حسن الصوت ، قال : فرج الشيخ بالقدح في الماء وقال : أشهد أن هذا أحسن مما سمعت ! فهل غير هذا ؟ قال : نعم ::

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ

شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

وَإِنْ يَسْتَعْجِلْوا يُعْجِلْوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ

الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ الكهف : ٢٩

قال : فوقعت من قلب الشيخ موقعا ، قال : فأمر بالركوة - وهو إناء للماء من جلد خاص - فرمى بها وأخذ العود فكسره ، ثم

قال : يافتى ! هل هاهنا فرج ؟ قال : نعم :

قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

الزمر : ٥٣

قال : فصاح الشيخ صيحة خمر مغشيا عليه ، فنظروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت ، وقد قاربوا (البصرة) قال : فضج القوم بالصُراخ واجتمع الناس - وكان رجلا من المهالبة معروفا - فحمل إلى منزله ، فما رأيت جنازة كانت أكثر جمعا منها .

قال : فبلغني أن الجارية المغنية تدرّعت الشعر ، وفوق الشعر

جبة صوف ، وجعلت تقوم الليل وتصوم النهار ، فمكثت بعده
أربعين ليلة ، ثم مرت بهذه الآية في بعض الليالي :

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن

شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ

الكهف : ٢٩

الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

قال : فأصبحوا ، فأصابوها ميتة» كتاب التوابين لابن قدامة ص ٢٧١ / ٢٧٣ .

ذكر سعة رحمة الله

هذا وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٣٨ قصة قارون

التي تدل على رحمة الله الواسعة وهي :

أخرج عبدالرزاق وابن أبي حاتم عن عبدالله بن الحرث رضي الله
عنه قال : بلغنا أن قارون أوتي من الكنوز والمال حتى جعل باب
داره من ذهب ، وجعل داره كلها من صفائح ، وكان الملاء من بني
إسرائيل يغدون إليه ويروحون ، يطعمهم الطعام ويتحدثون
عنده ، وكان مؤذيا لموسى عليه الصلاة والسلام ، فلم تدعه
القسوة والهوى حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مذكورة
بالجمال كانت تذكر بريبة ، فقال لها : هل لك أن أمولك
وأعطيك وأخلطك بنسائي ؟ على أن تأتيني والملاء من بني
إسرائيل عندي ، فتقولين : يا قارون ! ألا تنهي موسى عني ،
فقلت : بلى ، فلما جاء أصحابه واجتمعوا عنده دعا بها
فقامت على رؤوسهم ، فقلب الله قلبها ورزقها التوبة ، فقلت :
مأجد اليوم توبة أفضل من أنا أكذب عدو الله وأبرى رسول الله
عليه الصلاة والسلام ، فقلت : إن قارون بعث إلي ، فقال : هل لك

أن أمولك وأعطيك وأخلطك بنسائي على أن تأتيني والملا من
 بني إسرائيل عندي وتقولين : يا قارون ! ألا تنهني موسى عني ،
 فإن لم أجد اليوم توبة أفضل من أن أكذب عدو الله وأبرئ رسول
 الله ﷺ ، فنكس قارون رأسه وعرف أن قد هلك ، وفشا
 الحديث في الناس حتى بلغ موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان موسى
 عليه الصلاة والسلام شديد الغضب ، فلما بلغه توطأ ثم صلى
 وسجد وبكى وقال : يارب ! عدوك قارون كان لي مؤذياً فذكر
 أشياء ثم لم يتناه حتى أراد فضيحتي ، يارب ! سلطني عليه ،
 فأوحى الله إليه أن مُر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى
 قارون فلما رآه قارون عرف الغضب في وجهه ، فقال : ياموسى !
 ارحمني ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : يا أرض ! خذهم ،
 فاضطربت داره وخسف به وبأصحابه حتى تغيبت أقدامهم
 وساخت دارهم على قدر ذلك ، فقال قارون : ياموسى ! ارحمني ،
 فقال : يا أرض خذهم ، فاضطربت داره وخسف به وبأصحابه
 إلى ركبتهم وساخت داره على قدر ذلك ، وجعل يقول : ياموسى ؟
 ارحمني ، ويقول موسى : يا أرض ! خذهم فاضطربت داره
 وخسف به وبأصحابه إلى سرتهم وساخت داره على قدر ذلك ،
 وجعل يقول : ياموسى ! ارحمني ، فقال : يا أرض خذهم ،
 فخسف به وبداره وبأصحابه ، فلما خسف به قيل له : ياموسى
 ما أفظك ؟ أما وعزتي لو إياي دعا لرحمته . اه .
 وفي رواية : فأوحى الله إلى موسى : استغاث بك فلم تغشه ،
 وعزتي وجلالي لو قال : يارب لرحمته . اه من الدر المنثور .

أيها الناس !

هكذا رحمة ربي الواسعة ، ويفني عن الجميع إعلانه سبحانه بقوله : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٥٦ .
وأخبر بقوله : ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ الأنعام : ١٢ ،
فإن هذا وعد من الله عزوجل ، وهو لا يخلف على خلقه الوعد ،
وهو صادق المقال على كل حال .
وعلينا أن لا نخادع أنفسنا قائلاً : بأن الله تعالى يقول :

﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

الحجر : ٤٩

ونفعل ما نشاء ونتعدى حدود الله ، ثم يغفر الله لنا لأنه يقول
أنا الغفور الرحيم .

انتبهي على ذلك يا أختاه!

وقد ذكر أبو عمرو بن العلاء : بلغني أن الفرزدق جلس إلى قوم
يتذاكرون رحمة الله (الواسعة) فكان أوسعهم في الرجاء صدراً
فقالوا له : لم تقذف المحصنات ؟
فقال : أخبروني لو أذنبت إلى والدي ما أذنبته إلى ربي عز
وجل ، أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفاني في تنور مملوء جمرأ ؟
قالوا : لا إنما كانا يرحمانك .
قال : فإني أوثق برحمة ربي منهما .
قلت : (أى ابن الجوزي) : وهذا هو الجهل المحض ، لأن رحمة
الله عز وجل ليست برقة طبع ، ولو كانت كذلك لما ذبح

عصفور ، ولا أميت طفل ، ولا أدخل أحد إلى جهنم .

والخطأ هنا من وجهين

أحدهما : أنه نظر إلى جانب الرحمة ، ولم ينظر إلى جانب العقاب .

الثاني : أنه نسي أن الرحمة إنما تكون للتائب كما قال

تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ طه : ٨٢ .

وقال : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ .

«تليس إبليس» ٣٩١ - ٣٩٢ لابن الجوزي طبع دار الندوة بيروت .

وما أحسن ما كان يدعو به الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز

رحمه الله : فإنه كان يقول : «يا من وسعت رحمته كل شيء ! أنا

شيء فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين» .

وقال الشوكاني رحمه الله : قلت أنا : «يا من كتب على نفسه

الرحمة لعباده ! إني من عبادك فارحمني يا أرحم الراحمين» كما

في تحفة الذاكرين للشوكاني رحمه الله .

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن بقوله :

﴿ قُلْ يَعْزَابِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

رَحْمَةَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

فهل من مدكر

يتوب إلى الله بعد سماع هذا الإعلان الإلهي ؟ أو يدخل تحت

طائل قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُمْ فَلَظَّهُمْ هُمُومًا وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ تَسَوَّغَ اللَّهُ لَهُمُ الذُّنُوبَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

المائدة ٤١ - ٤٢

في الآخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

أو قوله تعالى : حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ

البقرة : ٧

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ أَوْ يَأْتُوا سَبِيلَ أَيْدِي مَرْسُولِنَا أَلَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكُودُوا سَبِيلَ آيَةٍ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

الأعراف : ١٤٦

أَوْ قَوْلُهُ وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لِنُذْرِنَا ظَاهَرًا أَوْ لَنُغْفِرُ لَهُمْ أَفْغَرًّا أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِقُونَ ﴿١٤٧﴾

الأعراف : ١٧٩

اللهم لا تجعلنا من هؤلاء الذين ما أردت بتطهير قلوبهم .
ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .
أمين يارب العالمين
وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابن عائشة

أبو طلحة محمد يونس عبدالستار

ص ب : ١١٠١ المدينة المنورة

ت المكتب ٨٣٦٨٣٨٢ (٤- ٠٠٩٦٦)

فاكس ٨٣٨٣٤٢٦ ت المنزل ٨٣٨٠٥٣٧ (٤- ٠٠٩٦٦)

مكة المكرمة : تليفون : ٥٤٢٤٢٨٠

المملكة العربية السعودية

وصية الوالدة المحترمة

أكبر ملك و ثروة في الدنيا والآخرة هو كلمة :



اعطوا حقها واقدروها حق قدرها مادتم أحياء

أثناء المعالجة عندما ساءت حالة الوالدة - رحمها الله - في منزلنا بالمدينة المنورة ، قال أخي الصغير محمد إسحاق عبدالستار - المقيم بمكة المكرمة - للوالدة وهي مسندة بصدرة : أوصينا يا أماه ! كى نتمسك بها في الحياة .

فقلت بصوت رفيع : أوصيكم بقول ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ وفهمها والعمل بمقتضاها فهي أكبر ملك و ثروة في الدنيا والآخرة ، أدوا حقها واقدروها حق قدرها ما دتم أحياء احياوا عليها وموتوا عليها ، واختاروا الأولياء والأصدقاء الصالحين من المصلين فإنهم يساعدونكم في الحسنات .

عندما أوصت الوالدة الوصية فكرنا ياليتنا نسجل هذه الوصية ولكن ماكانت لدينا آلة تسجيل ولا تلفاز ولا فيديو والحمد لله ، فاستعزنا آلة تسجيل من جار لنا ، وقلت لوالدتي مرة ثانية كى أسجل وصيتها : أما قلت لنا أن ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ أكبر ملك و ثروة أدوا حقها كما يجب ؟ قالت : نعم ، وهكذا قلت ، ثم أنشدت بيتين في اللغة الباكستانية وهذه ترجمته :

(١) امسكوا سيف كلمة الحق واضربوا هامة أعداء الله من الكفار والمشركين .

(٢) ولا تستغيثوا إلا بالله ، لو ظللتم قائمين على هذا ستصلح أحوالكم ، وتكونوا من الفائزين في الدارين .
ثم سجلنا بعض الأحاديث المنزلية والوصايا للأقارب .
وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين



فهرس الرسالة

الصفحة

- ٣ يأبها النبي قل لأزواجك
- ٥ سب تأليف الرسالة
- ٦ ولان ديننا الإسلام أعطى الفرصة لأعدائه للنظر والتبصر
- ١٣ بنت الخليج العزيزة مبحث نفيس جدا
- ١٥ وكيف نسي هذه المرأة الصالحة
- ١٦ وكيف لا نخطب المرأة مبحث نفيس جداً
- ٢١ هل تعرفين أختي الكريمة ! من كان سبياً في دخول عمر للإسلام ؟
- ٢٤ الله أكبر ! ما أعظم ابنة سعيد ... حين أصبحت معلمة الرجال
- ٢٤ انظري يا أختاه إلى فكرة جارية حبشية وهي في السوق
- ٢٤ وقال أبو العلاء السعدي : كانت لي ابنة عم قصة نفيسة
- ٢٥ قال الشاعر في صفات النساء الصالحات .. مبحث نفيس
- ٢٧ «أبما امرأة استعطرت ثم خرجت» الحديث
- فسبحان من يمنع البحر ويكفه عن الأرض لئلا يغمرها
- ٢٧ فيفرك أهلها مبحث نفيس جداً
- بأسفنى على هؤلاء البنات ! يجدن الوقت والساعات لتزين
- أجسادهن وتجميلها أمام المرايا الطويلة
- ٣٠ وهذه قصة عجيبة وغريبة ياليت تقرأها
- ٣٢ أختي العزيزة ! هذا نبينا محمد ﷺ يشكو أمته بين أصحابه
- ٣٦ قد حكى لي شيخ كبير مرة حكاية ... حكاية نفيسة جدا ...
- أختي الكريمة ! هل فكرت بانك ستذهبن إلى حفرة مظلمة
- وضيقة وتهجرين هذه الغرف الجميلة مبحث نفيس جداً
- ٣٨ سيكون سنم القبر بطانيتك وتراه فراشك الحشن
- ٣٩ ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءة على قبر
- ٤٠ محمد ما أعددت للقبر واللى أشعار نفيسة
- ٤١ أختي الفاضلة ! تفكري قليلا في مبحث نفيس

- ٤٣ قيل لإبراهيم بن أدهم ! أين العمران ؟ فأخذ بيد السائل
- ٤٤ سألت الدار تخبرني :: عن الأحياب ما فعلوا ... أشعار نفيسة جدا .
- ٤٥ وكم فناة معها قد سهرت ؟ حيناً يطلب الأبرار ... مبحث نفيس جدا .
- ٤٦ قيل : إنها كانت امرأة صالحة ... قصة نفيسة جداً
- ٤٧ أياها التاجر العالمي للمعاصي والذنوب ! وياشريك السوق الدولي للأثام والحبوب ! ... مبحث نفيس جدا
- ٥٠ وياشديد الأسف ! أخواتنا اليوم لا يقترين .. مبحث نفيس جدا
- ٥١ ولو يسرف في هذا الطراز واللباس ٢٢ متراً من القماش
- ٥٢ الذين يبيتون مع كلابهم على فرشهم وعلى
- ٥٣ أختي الفاضلة ! فكري في أية غفلة قيدت ... مبحث نفيس جدا
- ٥٣ وزيدت ربتك على الزوج ثلاثة أضعاف
- ٥٤ وفي رواية عند ابن حجر قصة عجيبة وغريبة
- ٥٦ أن رجلاً كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها
- ٥٦ وأنت أيتها المرأة ! انجبت سيد المرسلين ﷺ
- وياأختاه ! وللتريغيب فيك وفي الجنة قد ذكرت في القرآن بصفات عديدة ومرات كثيرة مبحث نفيس جداً
- ٦٠ كيف يتم الرحمن ويذكر النساء في القرآن في مواضع كثيرة كى لا يتحسرن على عدم ذكرهن فيه ... مبحث نفيس جدا
- ٦٣ واعلمي ياأختي ! أن في البستان أزهاراً متنوعة ... مبحث نفيس ...
- ٦٤ اعلمي ياأختاه ! أن الدنيا لا تدم لذاتها ... مبحث نفيس جدا...
- ٦٧ وعززائل عليه السلام لن يعبأ بأحد ولا يقبل رشوة
- ٦٨ توفي خمسة أفراد مع العروسة - وكانت متزينة لزوجها
- ٧٠ وما أحسن موقع تشبيه العروسة بنبات الأرض ... مبحث نفيس ..
- ٧٠ وما هو جسم المرأة والرجل الذي يعشقه جميع بني آدم ؟
- ٧١ وكم من عروس زينوها لزوجها ... أشعار نفيسة
- ٧٢ واسمعي يأمة الله ! هذه القصة العجيبة ... ياليت تقرأينها
- ٧٣ وقالت زوجته ! يايعلى الكرم وقد كنت أنتظرك طول النهار
- ٧٤ واعلمي ! أن الدنيا ستخرج اسمك من فهرس الأحياء وتسجله

- ٧٤ تبكي أمك وأبوك على موتك بضعة أيام ثم ...
- ٧٤ لو رأيتني بعد ثلاث في قبري ... قصة غريبة
- ٧٥ فيومي الدفن والكفن
- ٧٦ وها أنت على فراش الموت ياليت تقرأئنها بكامله
- ٧٩ وهذا وقتك الغسل بعد الموت مبحث نفيس جدا
- ٨٠ وهناك خياط جعل يجهز لك الزي النادر ذات موديل الأموات ..
- ٨٠ يلقبون الناس عليك النظرة الأخيرة التي لا نظرة بعدها
- ٨١ الخياط يخطط الكفن
- ٨٢ ثم يحملك الأقارب والأحباب على أعناقهم
- ٨٣ صورة الجنائز على أعناق الأقارب . والمرأة المظوفة في الكفن
- ٨٤ ثم أتدريين إلى أين ؟ أيرجعونك إلى دارك ؟ لا والله !
- ٨٥ أه ! الآن أنت على مقربة من القبر الذي ستدفن أنت فيه
- ٨٦ صورة يسترق الناس النظر إلى مثواك الأخير
- ٨٧ ألا أيها المستول انتبه !
- ٨٨ صورة إنزال الميت في القبر
- ٨٩ وبعد بضع دقائق جعل بعضهم يغلّق باب قبرك وحفرتك بالأحجار
- ٩٠ صورة إغلاق باب القبر بالأحجار
- ٩١ حينما يتولى عنك أقاربك من أهلك وزوجك وأخوانك وأخوالك ...
- ٩٤ وقال منصور بن عمار : ينقسم الرجل بعد الموت إلى خمسة أجزاء ...
- ٩٥ وهناك قصة لأختك الصالحة ياليت لو تقرأئنها
- ٩٨ ويحكى أن الملك شجاع الكرمانى ... حكاية نفيسة جدا لابنة الملك
- ١٠٠ ويأخنها ! هذه السيدة أم سليم رضي الله عنها ... وقصتها الغريبة ..
- ١٠١ وقد ذكر القرطبي في تفسيره مبحث نفيس جدا
- ١٠٣ أيها الراقصون ! على صوت العود والبيانوا وندنته
- وهذه بعض الأمثلة في امثال أمر الله وأمر الرسول صلى الله عليه
- ١٠٥ وسلم مبحث نفيس جداً
- ١٠٦ وهذه قصة عبدالله بن رواحة في سرعة امثال أمره ﴿ﷺ﴾

- وهذه قصة فتاة أنصارية في الأمتثال قصة نفيسة جدا ١٠٧
- وهذه قصة ثانية لفتاة أنصارية قصة لم تسمعها أبداً ١٠٨
- إي والله ! هكذا نبينا ﷺ لن يضيئنا ... بل يضيء لنا حياتنا .. ١١٠
- لا ، والله ! لا أخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ الحديث ١١١
- من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي ... الحديث ١١٢
- وقد بشر النبي ﷺ للذين يأتون من بعده ١١٣
- هل لك نصيب في قراءة القرآن وتدبره ١١٥
- ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ وتفسيره النفيس ١١٦
- وهذا هو الكتاب الوحيد الذي مبحث نفيس جداً ١١٨
- وستكسبن ستة آلاف حسنة ويكسبها الملك في نفس السوكت في صحيفة أعمالك وما أعظم شأن قارئ القرآن ١١٩
- أيها الناس ! كذلك كتابنا الكريم القرآن ١٢١
- الصلاة ! الصلاة ! أيتها الأخوات مبحث نفيس جدا ١٢٢
- فمن أراد الخشوع (في الصلاة) فعليه ... مبحث نفيس جدا ١٢٦
- الحجاب ! الحجاب ! قبل العذاب يأخذه ... مبحث نفيس جدا ... ١٣٠
- وهذه السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تغطي جسدتها بالشدة وهي في إحاطة البيت ١٣٢
- أسمعتي يا أختي العزيزة مبحث نفيس جدا ١٣٤
- وحكى لنا أحد شيوخنا قصة قصة لم تسمعها أبداً وهي نفيسة جدا . ١٣٥
- وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يحكى قصته قصة نفيسة جدا ... ١٣٩
- وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا ... قصة نفيسة ١٤٠
- فقامت فاطمة رضي الله عنها قالت : حبيبي وقره عيني ! ما كانت أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب فقال ﷺ : يا بنية ! ١٤١
- هل من سبيل إلى خمر فأشربها لما قالته المغنية ١٤٣
- وتقول العرب ونعم ما قالوا ... مبحث نفيس جدا ١٤٤
- ويصيح الشاعر «أكبر» صيحة ... وذلك حوار بينه وبين كاسيات عاريات حوار نفيس جدا ، وبعده مبحث نفيس ١٥٠

- ١٥٠ الحذر الحذر من تشبه الرجال . يابنات حواء .. مبحث نفيس .
- ١٥٣ الرزق الحلال هو سيد العبادات وملكها ... مبحث نفيس جلد
- ولو يعرض زوجك عن الحق وكسب الحلال فعليه أن يسمع
- ١٥٦ قولنا هذا مبحث نفيس جدا
- ١٦٢ صديقة مؤمنة صالحة : نعمة عظيمة لك ياأختي
- ١٦٣ ومن ربط الحصان إلى حمار
- ١٦٤ أختاه ! ارجعي إلى ربك الآن ... مبحث نفيس جدا
- ١٦٥ يقول : إن الحمار المسكين وإن كان ... مبحث نفيس جدا
- ١٦٧ ومن يريد أن يطرد الشيطان من القلب فليسرع إلى ... ؟
- ١٦٩ وذكر ابن القيم رحمه الله في هذا الباب حكاية نفيسة جدا
- ١٧٢ قد دعا الله تعالى إلى مغفرته مبحث نفيس جدا
- ١٧٧ توبة امرأة من غامد من الأزدي (رضي الله عنها) قصة عجيبة وغريبة ...
- توبة عبد العاصي ... قصة غريبة وعجيبة وفيها تسلية
- للمذنبين من كانوا وحيث كانوا
- ١٧٩ فبادري إلى التوبة ياأختي ! مبحث نفيس جدا
- ١٨٠ توبة شاب مسرف على نفسه قصة نفيسة جدا
- ١٨١ توبة ملك من ملوك البصرة وجاريتته ... قصة لم تسمعها أبدا
- ١٨٢ توبة دينار العيار عن المعاصي على يد والدته قصة نفيسة
- ١٨٤ قصة رجل عن حب مغنية شغله الله قصة نفيسة جدا
- ١٨٦ قصة شيخ مهلي وجاريتته عن الشراب والضرب بالعود ... لم
- تسمعها أبدا وياليت تقرئينها
- ١٨٧ ذكر سعة رحمة الله وفيه تسلية وافية للمذنبين
- ١٨٩ ﴿نبى عبادي أنى أنا الغفور الرحيم﴾ ... مبحث نفيس جدا
- ١٩١ فهل من مذكر ؟ مبحث نفيس جدا
- ١٩٢ وصية الوالدة المحترمة النادرة
- ١٩٤